

# أخبار الكلاب



محمد حامد محمد



## المقدمة

الكلب: حيوان معروف، وربما وصف به فقيـل للرجـل كلب وللمرأة كلبـة، والجمع أكلب وكلاب وكليب، مثل أعبد وعباد وعبيد وهو جمع عزيز. والأكلاب جمع أكلب قال ابن سـيده: وقد قالوا في جمع كلب كلابات. قال الشاعر:

أحب كلب في كلابات الناس ... إلي نهجاً كلب أم عباس

وكلاب اسم رجل من أجداد النبي صلى الله عليه وسلم وهو كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

وكلاب إما منقول من المصدر، الذي هو في معنى المكالبة، نحو كالت العدو مكالبة وكلاتاً، وإما جمع كلب، وسموه بذلك طلباً للكثرة كما سموا سباع، وأنمار.

قيل لأبي الدقيش الأعرابي: لم تسمون أبناءكم بشر الأسماء نحو كلب وذئب؟ وعبيدكم بأحسنها نحو مرزوق ورباح؟ فقال: إنما نسمي أبناءنا لأعدائنا وعبيدنا لأنفسنا. وكأنهم قصدوا بذلك التفاؤل بمكالبة العدو وقهره، والكلبة أثنى الكلاب، وجمعها كلبات ولا تكسر.

وللكلب أحوال عجيبة، ومواقف غريبة، وطرف، ونوادر جاءت مبثوثة في كتب الأدب العربي.

فأحببت أن أجمع شتات هذا المنشور، على ما فيه من طرافة وغرابة، وقيمة علمية أيضاً: تتضح لك عزيزي القارئ وأنت تتصفح هذا الكتاب الطريف في بابـه، والذي أخالني أنه لم يؤلف مثله.

والله الموفق؛ محمد حامد محمد

## الكلب في القرآن الكريم

أصحاب الكهف وكلبهم:

جاء ذكر الكلب في القرآن مرتين : مدحاً وذمّاً ، وسنعرض لهاتين الموقفتين بشئ من التفصيل ، وهذا هو الموقف الأول :

اختلفوا في قوله تعالى: " وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً " أكثر أهل التفسير على أن كلب أهل الكهف كان من جنس الكلاب. وروى عن ابن جريج أنه قال: كان أسداً ويسمى الأسد كلباً لأن النبي صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة بن أبي لهب " أن يسלט الله عليه كلباً من كلابه " فأكله الأسد. وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: كان كلباً أغبر.

وفي رواية عنه أحمر، واسمه قطمير. وقال مقاتل: كان أصفر. وقال القرطبي: صفوته تضرب إلى الحمرة. وقال الكلبي: كان خلنجي اللون. وقيل: كان لونه لون السماء. وقيل: كان أبلق أبيض وأسود وأحمر. وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: اسمه ريان. وقال الأوزاعي: مشير.

وقال سعيد الحمال: حران. وقال عبد الله بن سلام: بسيط. وقال كعب الأحبار: صيهراً، وقال وهب: نقياً. وقصة الإمام مالك في ذلك مشهورة معروفة. وقال فرقة: كان رجلاً طباًخاً لهم، حكاه الطبري. وقال فرقة: كان أحدهم. وكان قد قعد عند باب الغار طليعة لهم فسمي باسم الحيوان الملازم لذلك الموضع من الناس، كما سمي النجم التابع للجوزاء كلباً، لأنه منها كالكلب من الإنسان. وهذا القول يضعفه بسط الذراعين، فإنه في العرف من صفة الكلب. وحكى أبو عمرو المطرزي في كتاب اليواقيت وغيره، أن جعفر بن محمد الصادق قرأ: " وكلبهم " فيحتمل أنه يريد هذا الرجل.

وقال خالد بن معدان: ليس في الجنة من الدواب سوى كلب أهل الكهف، وحمار العزيز، وناقة صالح وقد تقدم في أوائل باب السين المهملة في السبع الكلام على قوله تعالى: "سبعة وثامنهم كلبهم" ونزيد هنا أن قوله تعالى: "قل رب أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل" أن المثبت في حق الله تعالى العلمية، وفي حق القليل العالمية، فلا تعارض بينهما. قال ابن عطية المفسر: حدثني أبي أنه سمع أبا الفضل بن الجوهري، في سنة تسع وستين وأربعمائة، يقول: إن من أحب أهل الخير نال من بركتهم. كلب أحب أهل فضل وصحبهم، فذكره الله في القرآن معهم.

وأما الوصيد، فاختلف المفسرون فيه فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: الوصيد فناء الكهف، وهو قول مجاهد رضي الله تعالى عنه، وقال سعيد بن جبير: الوصيد التراب. وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أيضاً. وقال السدي: الباب. وهو رواية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وأنشد في ذلك:

بأرض فضاء لا يسد وصيدها ... علي ومعروفي بها غير منكر

أي بابها وقال عطاء: الوصيد عتبة الباب. وقال العتبي: هو البناء الذي من فوقه ومن تحته، مأخوذ من قولهم أوصدت الباب وآصدته. أي أغلقته وأطبقته "لو اطلعت عليهم" يا محمد "لوليت منهم فراراً"، أي هرباً "ولملت منهم رعباً"، لما ألبسهم الله ومن الهيبة، حتى لا يصل إليهم وأصل منعهم بالرعب، لثلاثهم أحد. وقيل: إنما ذلك من وحشة المكان الذي هم فيه.

وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أنه قال: غزونا مع معاوية غزوة المضيق نحو الروم فمررنا بالكهف الذي فيه أصحاب أهل الكهف الذين ذكرهم الله في القرآن، فقال معاوية: لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم، فقلت له: ليس لك ذلك قد منع الله ذلك من هو خير منك، فقال تعالى: "لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملت منهم رعباً" فقال معاوية: لا أنتهي حتى أعلم

علمهم. ثم بعث ناساً لينظروا، فقال: اذهبوا فادخلوا الكهف، فذهبوا فلما دخلوا الكهف، بعث الله عليهم ريحاً فأخرجتهم.

وذكر الثعلبي وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل الله أن يريه إياهم، فقال تعالى: إنك لن تراهم ولكن ابعث إليهم أربعة من كبار أصحابك ليبلغوهم رسالتك ويدعوهم إلى الإيمان بك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل: "كيف أبعث إليهم". فقال له جبريل عليه السلام: أبسط كساءك واجلس على طرف من أطرافه أبا بكر، وعلى الطرف الثاني عمر، وعلى الطرف الثالث عثمان، وعلى الطرف الرابع علياً، ثم ادع الريح الرخاء المسخرة لسليمان، فإن الله يأمرها أن تطيعك. ففعل ذلك صلى الله عليه وسلم، فحملتهم الريح إلى باب الكهف فقلعوا منه حجراً، فحمل عليهم الكلب، فلما رأهم حرك رأسه وبصص إليهم وأوماً إليهم برأسه، أن ادخلوا فدخلوا الكهف. فقالوا: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد الله إلى الفتية أرواحهم، فقاموا بأجمعهم فقالوا: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، فقالوا: معشر الفتية، إن النبي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم يقرأ عليكم السلام، فقالوا: وعلى محمد السلام ما دامت السموات والأرض، وعليكم بما أبلغتم، وقبلوا دينه، ثم قالوا: اقرؤوا على محمد صلى الله عليه وسلم منا السلام، وأخذوا مضاجعهم وصاروا إلى رقدتهم إلى آخر الزمان، عند خروج المهدي، فيقال: إن المهدي يسلم عليهم، فيحييهم الله ويردون عليه السلام، ثم يرجعون إلى رقدتهم فلا يقومون حتى تقوم الساعة.

ثم ردتهم الريح فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: "كيف وجدتموهم؟ فأخبروه الخبر فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم لا تفرق بيني وبين أصحابي وأنصاري، واغفر لمن أحبني، وأحب أهل بيتي وخاصتي".

واختلف في سبب مصيرهم إلى الكهف، فقال محمد بن إسحاق: مرح أهل الإنجيل وعظمت فيهم الخطايا، وأطغتهم الجن حتى عبدوا الأصنام، وذبحوا للطواغيت، وكانت فيهم بقايا على دين المسيح، يعبدون الله، وكان ملكهم اسمه دقيانوس، وكان قد عبد الأصنام وذبح للطواغيت، حتى نزل مدينة أصحاب

الكهف، وهي أفسوس، فهرب منه أهل الإيمان، وكان حين قدمها، أمر أن يجمع له أهل الإيمان، فمن وقع به خيره بين القتل وعبادة الأصنام، فمنهم من يرغب في الحياة، ومنهم من يأبى فيقتل.

ثم أمر بأجسادهم أن تعلق على سور المدينة وعلى كل باب، فحزن هؤلاء الفتية، وأقبلوا على الصلاة والصيام والتسبيح والدعاء، وكانوا ثمانية من أشرف القوم، فعثر عليهم الملك فقال لهم: اختاروا: إما أن تعبدوا آلهتنا، وإما أن أقتلكم! فقال مكسلمينا، وهو أكبرهم: إن لنا إلهًا هو ملك السموات والأرض، وهو أعظم وأجل من كل شيء، وهو المعبود، فلن ندعو من دونه إلهًا. فقال الملك: ما يمني أن أعجل لكم العقوبة إلا أنكم شباب، وأحب أن أجعل لكم أجلا لعلكم تتذكرون فيه، وتراجعون عقولكم.

فأخذوا من بيوتهم نفقة، وخرجوا إلى الكهف يعبدون الله، فأتبعهم كلب كان لهم، وقال كعب: بل مروا بكلب، فنبح بهم فطرده، فعاد فطرده مرارًا، وهو يعود فقام الكلب على رجله ورفع يديه إلى السماء، كهيئة الداعي ونطق فقال: لا تخافوا مني فإني أحب أحباء الله، فناموا حتى أحرسكم.

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: هربوا ليلا، وكانوا سبعة، فمروا برامع معه كلب فأتبعهم على دينهم فجعلوا يعبدون الله في الكهف، وجعلوا نفقتهم إلى فتى منهم، يقال له تملیخا، فكان يبتاع لهم طعامهم من المدينة، وكان من أجملهم وأجلدهم، وكان إذا دخل المدينة لبس ثياب المساكين، واشترى طعامهم وتجسس لهم الأخبار، فلبثوا كذلك زمانًا، ثم أخبرهم تملیخا أن الملك يتطلبهم، ففزعوا لذلك وحزنوا، فبينما هم كذلك عند غروب الشمس، يتحدثون ويتدارسون، إذ ضرب الله على آذانهم في الكهف، وكتبهم باسط ذراعيه بباب الكهف، فأصابه ما أصابهم، فسمع الملك أنهم في جبل فألقى الله في نفسه أن يأمر بالكهف فيسد عليهم، حتى يموتوا جوعًا وعطشًا وهو يظنهم أيقاظًا، أراد الله بذلك أن يكرمهم، وأن يجعلهم آية لخلقه.

وقد توفي الله أرواحهم وفاة النوم، والملائكة تقلبهم ذات اليمين وذات الشمال، ثم عمد رجلان مؤمنان كانا في بيت الملك، فكتبنا شأن الفتية وأسماءهم وأنسابهم، في لوح من رصاص، وجعلناه في تابوت من نحاس، وجعلناه في البنيان.

وقال عبيد بن عمير: كان أصحاب الكهف فتية مطوقين مصورين ذوي ذوائب، وكان معهم كلب صيد فخرجوا في عيد لهم وأخرجوا آلهم التي كانوا يعبدونها فغذف الله في قلوبهم الإيمان، وكان أحدهم وزير الملك، فآمنوا وأخفى كل واحد منهم إيمانه عن صاحبه، فخرج شاب منهم حتى انتهى إلى ظل شجرة، ثم خرج آخر فرآه فظن أن يكون على مثل أمره، وجاء من غير أن يظهر له ذلك، ثم خرج الآخرون واحداً بعد واحد حتى اجتمعوا تحت الشجرة. فقال بعضهم لبعض: ما جمعكم هاهنا؟ ثم قالوا: ليخرج كل فتية فيخلوا ثم يفش كل واحد منهما أمره إلى صاحبه، فخرج فتية فذكر كل واحد منهما لصاحبه أمره، فأقبلا مستبشرين قد اتفقا على أمر واحد، ثم فعلوا جميعاً كذلك فإذا هم جميعاً على الإيمان. فقال بعضهم لبعض: ائووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته، ويهيئ لكم من أمركم مرفقاً، فدخلوا الكهف ومعهم كلبهم، فناموا ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً، فلما لم يجدوهم كتبوا أسماءهم وأنسابهم في لوح: فلان وفلان أبناء ملوكنا فقدناهم، في شهر كذا في سنة كذا، في مملكة فلان بن فلان. ووضعوا اللوح في خزانة الملك، وقالوا: ليكون لهذا شأن.

وقال السدي: لما خرجوا، مروا براع معه كلب، فقال الراعي: إني أتبعكم على أن أعبد الله معكم، قالوا: سر فسار معهم، وتبعهم الكلب فقالوا: يا راعي هذا الكلب ينبح علينا، وينبه بنا فما لنا به من حاجة. فطردوه فأبى إلا أن يلحق بهم، فرجموه فرفع يديه كالداعي، وأنطقه الله تعالى فقال: يا قوم لم تطردوني لم تضربوني لم ترجموني؟ فوالله لقد عرفت الله قبل أن تعرفوه بأربعين سنة فتعجبوا من ذلك وزادهم الله بذلك هدى.

وقال محمد الباقر: كان أصحاب الكهف صياقلة، واسم الكهف حيوم، والقصة طويلة مشهورة في كتاب التفاسير والقصص مطولا ومختصراً، وقد وقفت على جمل من ذلك. فمن ذلك ما ساقه الإمام أبو إسحاق محمد بن

أحمد بن إبراهيم النيسابوري الثعلبي، في كتابه الكشف والبيان في تفسير القرآن، وربما يتكرر شيء مما تقدم، فيما أتى به. قال: قوله تعالى: "أم حسب أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا" يعني ليسوا من أعجب آياتنا، فإن فيم خلقت من السموات والأرض وما فيهن من العجائب أعجب منهم. والكهف هو الغار في الجبل.

واختلفوا في الرقيم، فقال وهب: حدثني النعمان بن بشير الأنصاري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الرقيم، قال: إن ثلاثة نفر خرجوا مرتادين لأهلهم، فبينما هم يمشون إذ أصابتهم السماء، فأووا إلى كهف، فانحطت صخرة من الجبل، فانطبقت على باب الكهف، فأوحد عليهم، فقال قائل منهم: اذكروا أيكم عمل عملا حسنا، لعل الله برحمته أن يرحمنا، فقال رجل منهم: إني قد عملت حسنة مرة، كان لي أجراء يعملون عملا لي، استأجرت كل رجل منهم في نهاره بأجرة معلومة، فجاءني رجل منهم ذات يوم وسط النهار، فاستأجرته بشرط أجرة أصحابه، فعمل في بقية نهاره كما عمل رجل منهم في نهاره كله، فرأيت علي من الذمام، أن لا أنقصه عما استأجرت من أصحابه، لما رأيت من جهده في عمله.

فقال رجل منهم: أعطني هذا مثل ما أعطيتني ولم يعمل إلا وسط النهار؟ فقلت: يا عبد الله لم أبخسك شيئا من شرطك، وإنما هو مالي أحكم فيه بما شئت. فغضب وترك أجره فوضعت حقه في جانب من البيت ما شاء الله، ثم مرت بي بعد ذلك بقر فاشتريت له بها فصيلة من البقر، فبلغت ما شاء الله، فمر بي بعد حين رجل شيخ كبير لا أعرفه، فقال لي: إن لي عندك حقا فذكرنيه حتى عرفته، قلت له: إياك أبغي، وهذا حقك وعرضتها عليه جميعا، فقال: يا عبد الله لا تسخر بي إن لم تصدق علي فأعطني حقي! قلت: والله ما أسخر بك إنها لحقك، مالي فيها لشيء فدفعتها إليه جميعا. اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا الحجر، فانصدع الحجر ففرج حتى رأوا وأبصروا.

وقال الآخر: قد عملت حسنة مرة، كان لي فضل، وأصابت الناس شدة، فجاءتني امرأة تطلب مني معروفا، فقلت لها: والله ما هو دون نفسك، فأبت



علي وذهبت، ثم رجعت فذكرتني بالله عز وجل، والله مطلع عليها فأبيت عليها وقلت لها: والله ما هو دون نفسك، فأبت علي وذهبت، وذكرت لزوجها فقال لها: أعطيه نفسك وأغيثي عيالك! فرجعت إلي وأنشدتني بالله، فأبيت عليها وقلت لها: والله ما هو دون نفسك! فلما رأت ذلك، أسلمت إلي نفسها، فلما كشفتها وهممت بها ارتعدت من تحتي، فقلت لها: ما شأنك؟ فقالت: إني أخاف الله رب العالمين! فقلت لها: خفته في الشدة ولم أخفه في الرخاء! وتركتها وأعطيتهما ما يحق علي بما كشفتها. اللهم إن كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا الحجر فانصدع حتى عرفوا وتبين لهم.

وقال الآخر: قد عملت حسنة مرة، كان لي أبوان شيخان كبيران، وكان لي غنم فكنت أطعم والداي وأسقيهما، ثم أرجع إلي غنمي، فأصابني يوماً غيث، فحبسني حتى أمسيت، فأتيت أهلي وأخذت محلبي، فحلبت غنمي وتركتها قائمة، ومضيت إلي أبواي، فوجدتهما قد ناما، فشق علي أن أوقظهما، وشق علي أن أترك غنمي، فما برحت جالساً ومحلبي على يدي، حتى أيقظتهما الصبح فسقيتهما. اللهم إن كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا. قال النعمان بن بشير: لكأني أسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " قال الجبل طاق طاق ففرج الله عنهم فخرجوا " .

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: الرقيم واد بين عمان وأيلة دون فلسطين، وهو الوادي الذي فيه أصحاب الكهف.

وقال كعب: هي قريتهم وهو على هذا التأويل من رقمة الوادي، وهو موضع الماء منه، تقول العرب: عليك بالرقمة ودع الضفة. والصفتان جانباً الوادي.

وقال سعيد بن جبیر: الرقيم لوح من حجارة. وقيل: من رصاص كتبوا فيه أسماء أهل الكهف، وهو على هذا التأويل بمعنى المرقوم أي الكتاب المرقوم. والرقم الخط والعلامة والرقم الكتابة. ثم ذكر صفتهم فقال تعالى: " إذ أوى الفتية إلى الكهف " أي رجعوا وصاروا إليه.

واختلفوا في سبب مصيرهم إلى الكهف، فقال محمد بن إسحاق: مرح أهل الإنجيل وكثرت الخطايا فيهم، وعظمت الذنوب وطغت فيهم الملوك، حتى عبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت، وفيهم بقايا على دين المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام، متمسكين بعبادة الله وتوحيده.

فكان ممن فعل ذلك ملك من ملوكهم من الروم، يقال له دقيانوس، كان قد عبد الأصنام وذبح للطواغيت، وقتل من خالفه في ذلك ممن أقام على دين المسيح، وكان ينزل قرى الروم فكان لا يترك فيها أحداً مؤمناً إلا فتنه، حتى يعبد الأصنام ويذبح للطواغيت، حتى نزل مدينة أصحاب الكهف، وهي أفسوس، فلما نزلها كبر ذلك على أهل الإيمان فاستخفوا منه، وهربوا في كل وجه.

وكان دقيانوس قد أمر حين قدمها أن يتبع أهل الإيمان في أماكنهم، فيجمعوا له واتخذ شرطة من الكفار، من أهلها فجعلوا يتبعون أهل الإيمان، في أماكنهم فيخرجونهم إلى دقيانوس، فيقدمهم إلى الجامع الذي يذبح فيه للطواغيت، فيخبرهم بين القتل وعبادة الأصنام والذبح للطواغيت، فمنهم من يرغب في الحياة، ومنهم من يأب أن يعبد غير الله تعالى فيقتل.

فلما رأى أهل ذلك البلد الشدة في الإيمان بالله جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب والقتل، فيقطعون ويعلق ما قطع من أجسادهم على سور المدينة ونواحيها كلها، وعلى كل باب من أبواب، حتى عظمت الفتنة على أهل الإيمان منهم، من أقر فترك، ومنهم من صلب على دينه فقتل.

فلما رأى ذلك الفتية، حزنوا حزناً شديداً فصلوا وصاموا واشتغلوا بالتسبيح والدعاء لله تعالى، وكانوا من أشرف الروم، وكانوا ثمانية ففرقوا، وتضرعوا، وجعلوا يقولون: "ربنا رب السموات والأرض، لن ندعو من دونه إلهاً، لقد قلنا إذا شططا"، اللهم اكشف عن عبادك المؤمنين، هذه الفتنة وادفع البلاء والغم عن عبادك، الذين آمنوا بك، حتى يعلنوا عبادتهم إياك، فبينما هم على ذلك إذا أدرتهم الشرطة، وكانوا قد دخلوا في مصلى لهم، فوجدوهم سجداً

على وجوههم يكون ويتضرعون إلى الله تعالى، ويسألونه أن ينجيهم من دقيانوس وفتنته.

فلما رأهم أولئك الكفرة، قالوا لهم: ما خلفكم عن أمر الملك؟ انطلقوا إليه. ثم خرجوا من عندهم فرفعوا أمرهم إلى دقيانوس، فقالوا: نجتمع الجميع وهؤلاء الفتية من أهل بيتك يسخرون بك ويعصون أمرك! فلما سمع ذلك منهم أتى بهم وأعينهم تفيض من الدمع، مغفرة وجوههم في التراب، فقال لهم: ما منعكم أن تشهدوا الذبح للآلهة التي تعبد في الأرض، وأن تجعلوا أنفسكم كغيركم؟ فاختاروا إما أن تذبحوا لآلهتنا كما يذبح الناس، وإما أن أقتلكم؟ فقال مكسلمينا، وكان أكبرهم: إن لنا إلهًا ملأت السموات والأرض عظمتة " لن ندعو من دونه إلهًا، لقد قلنا إذا شططاً " ولن نقر بهذا الذي تدعو إليه أبدًا، ولكننا نعبد الله ربنا، له الحمد والشكر والتسبيح من أنفسنا خالصًا أبدًا، إياه نعبد وإياه نسأل النجاة والخير، فأما الطواغيت وعبادتها فلن نعبدها أبدًا، اصنع ما بدا لك.

ثم قال أصحاب مكسلمينا لدقيانوس مثل ما قال له، فلما قالوا ذلك أمر فنزع منهم الملبوس الذي كان عليهم من لبوس عظمائهم، وقال: إن فعلتم ما فعلتم فإني سأؤخركم وأفرض لكم وأنجزكم ما وعدتكم من العقوبة، وما يمنعي أن أعجل ذلك لكم إلا أنني أراكم شبابًا حديثه أسنانكم، فلا أحب أن أهلككم حتى أجعل لكم أجلا، تتذكرون فيه وتراجعون عقولكم، ثم أمر بحلية كانت عليهم من ذهب وفضة فنزعت عنهم، ثم أمر بهم فأخرجوا من عنده وانطلق دقيانوس إلى مدينة سوى مدينتهم التي هم بها قريبة منهم، لبعض أموره فلما علم الفتية أن دقيانوس خرج من مدينتهم، بادروا قدومه وخافوا إذا قدم مدينتهم أن يذكرهم فائتمروا بينهم، أن يأخذ كل رجل منهم نفقة من بيت أبيه فيتصدقوا منها، ثم يتزودوا بما بقي ثم ينطلقوا إلى كهف قريب من المدينة، في جبل يقال له منحلوس، فيمكثون فيه ويعبدون الله تعالى، حتى إذا جاء دقيانوس، أتوه فقاموا بين يديه، فيصنع بهم ما شاء. فلما قال ذلك بعضهم لبعض، عمد كل فتى منهم

إلى بيت أبيه، فأخذ نفقة فتصدقوا منها، وانطلقوا بما بقي معهم من نفقتهم، واتبعهم كلب كان لهم. حتى أتوا ذلك الكهف في الجبل فلبثوا فيه.

وقال كعب الأحبار: مروا بكلب فنبح عليهم فطردوه، فعاد ففعلوا ذلك مراراً، فقال لهم الكلب: ما تريدون مني؟ لا تخشوا جانبي فأنا أحب أحباب الله. فناموا حتى أحرسكم.

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: هربوا ليلاً من دقيانوس بن حلانوس حين دعاهم إلى عبادة الأصنام، وكانوا سبعة فمروا براع معه كلب، فتبعهم على دينهم، فخرجوا من البلد فأووا إلى الكهف وهو قريب من البلدة، فلبثوا فيه، ليس لهم عمل إلا الصلاة والصيام والتسبيح والتكبير والتحميد، ابتغاء وجه الله، وجعلوا نفقتهم إلى فتى منهم، يقال له تملیخا، فكان على طعامهم يتتاع لهم أرزاقهم من المدينة سراً، وكان من أجملهم وأجلدهم، فكان تملیخا يصنع ذلك، فإذا دخل المدينة يضع ثياباً كانت عليه حساناً، ويلبس كتياب المساكين، الذين يطعمون فيها، ثم يأخذ ورقة ثم ينطلق إلى المدينة فيشتري لهم طعاماً وشراباً، ويسمع ويتجسس لهم الخبر، هل ذكر أصحابه بشيء أم لا ثم يرجع إلى أصحابه.

فلبثوا كذلك ما لبثوا، ثم قدم دقيانوس الجبار المدينة فأمر العظماء، فذبحوا للطواغيت، ففرع لذلك أهل الإيمان، وكان تملیخا بالمدينة يشتري لأصحابه الطعام والشراب، فرجع لأصحابه وهو يبكي ومعه طعام قليل، فأخبرهم أن الجبار دقيانوس قد دخل المدينة، وأنهم قد ذكروا مع عظماء المدينة، ليذبحوا الطواغيت، فلما أخبرهم فزعوا ووقعوا سجداً يدعون الله تعالى، ويتضرعون إليه، ويتعوذون به من الفتنة، ثم إن تملیخا قال لهم: يا أخوتاه ارفعوا رؤوسكم وأطعموا من رزق الله، وتوكلوا عليه، فرفعوا رؤوسهم وأعينهم تفيض من الدمع، حزناً وخوفاً على أنفسهم، فطعموا منه وذلك عند غروب الشمس، ثم جلسوا يتحدثون ويتدارسون، ويذكر بعضهم بعضاً، فبينما هم على ذلك إذ ضرب الله على آذانهم في الكهف، وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف، فأصابه ما أصابهم، وهم مؤمنون موقنون ونفقتهم عند رؤوسهم.

فلما كان الغد تفقدتهم دقيانوس والتمسهم فلم يجدهم، فقال لبعض أصحابه: قد ساءني هؤلاء الفتية الذين ذهبوا، لقد كانوا ظنوا بي غضباً عليهم لجهلهم ما جهلوا من أمري، وما كنت لأجهل عليهم، ولا على واحد منهم إن تابوا وعبدوا إلهي.

فقال له عظماء المدينة: ما أنت بحقيق أن ترحم قوماً فجرة مردة عصاة، مقيمين على ظلمهم ومعصيتهم، قد كنت أجلتهم أجلاً، ولو شاؤوا لرجعوا في ذلك الأجل، ولكنهم لم يتوبوا. فلما قالوا له ذلك: غضب غضباً شديداً، ثم أرسل إلى آبائهم فسأل عنهم؟ ثم قال: أخبروني عن أبنائكم المردة الذين عصوني؟ فقالوا له: أما نحن فلن نعصيك، فلم تقتلنا بقوم مردة ذهبوا بأموالنا فأهلكوها بأسواق المدينة، ثم انطلقوا فارتقوا إلى جبل يقال له منحلوس، فلما قالوا له ذلك، خلى سبيلهم، وجعل ما يدري ما يفعل بالفتية، فألقى الله في نفس دقيانوس أن يأمر بالكهف فيسد عليهم.

وأراد الله أن يذكرهم ويجعلهم آية، ويستخلف من بعدهم، وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، ويدعوهم كما هم في الكهف يموتون عطشاً وجوعاً، وليكن كهفهم الذي اختاروا قبراً لهم، وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم. وقد توفى الله أرواحهم وفاة النوم، وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف، قد غشيه ما غشيه ذات اليمين وذات الشمال.

ثم إن رجلين مؤمنين كانا في بيت الملك دقيانوس، يكتمان إيمانهما، كان اسم أحدهما مندروس، والآخر دوماس، ائتمرا أن يكتبوا أسماء الفتية وأنسابهم وخبرهم، في لوح رصاص يجعلاه في تابوت من نحاس، ثم يجعل التابوت في البنيان، وقالوا: لعل الله يظهر على هؤلاء الفتية قوماً مؤمنين، قبل يوم القيامة، فيعلم من فتح عليهم خبرهم، حين يقرأ هذا الكتاب. ففعلاً ثم بنوا عليهم فبقي دقيانوس ما بقي، ثم مات وقومه وقرون بعد ذلك كثيرة، وخلفاء الملوك بعد الملوك.

وقال عبيد بن عمير: كان أصحاب الكهف فتیاناً مطوقين مسورين ذوي ذوائب، وكان معهم كلب صيدهم فخرجوا في عيد لهم عظيم، في زي وموكب، وأخرجوا معهم ألھتهم التي يعبدونها من دون الله، وقد قذف الله في قلوب الفتية الإيمان، وكان أحدهم وزير الملك، فأمنوا وأخفی كل واحد منهم الإيمان عن أخيه، فقالوا في أنفسهم، من غير أن يظهر بعضهم على بعض: نخرج من بين أظهر هؤلاء القوم، لئلا يصيبنا عقاب بجرمهم، فخرج شاب منهم حتى انتهى إلى ظل شجرة، فجلس فيه ثم خرج آخر فرآه جالساً وحده، فرجا أن يكون على مثل أمره، من غير أن يظهر له ذلك، فجلس إليه ثم خرج الآخرون فجاءوا وجلسوا إليهما. واجتمعوا، فقال بعضهم لبعض: ما جمعكم؟ وقال آخر: ما حملكم؟ وكل واحد يكتم عن صاحبه إيمانه، مخافة على نفسه، ثم قالوا: ليخرج كل فتية منكم فيخلوا ثم ليفش كل واحد منهما لصاحبه أمره، فخرج فتیان منهم، فتوافقا. ثم تكلما، فذكر كل واحد منهما أمره لصاحبه، فأقبلا مستبشرين إلى أصحابهما، فقالا: قد اتفقنا على أمر واحد، فإذا هم جميعاً على أمر واحد، وهو الإيمان، وإذا كهف في الجبل قريب منهم، فقال بعضهم لبعض: فأووا إلى الكهف، ينشر لكم ربكم من رحمته، ويهيئ لكم من أمركم مرفقاً، فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيدهم، فناموا ثلاثمائة سنة وازدادوا تسعاً.

وفقدهم الملك وقومهم فطلبوهم فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم، فلما لم يقدروا عليهم، كتبوا أسماءهم وأنسابهم في لوح من رصاص: فلان وفلان أبناء ملوكنا، فقدناهم في شهر كذا من سنة كذا في مملكة فلان، ووضعوا اللوح في خزانة الملك وقالوا: ليكون لهذا شأن ومات ذلك الملك وجاء قرن من بعد قرن.

وقال وهب بن منبه: جاء حوارى عيسى ابن مريم إلى مدينة أصحاب الكهف، فأراد أن يدخلها، فقليل له: إن على بابها صنماً لا يدخلها إلا سجد له، فكره أن يدخلها وأتى حماماً قريباً من تلك المدينة، فكان فيه وكان يؤجر نفسه من الحمامي في حمامه، ويعمل فيه ورأى الحمامي في حمامه البركة، ودر عليه الرزق، فجعل يقوم عليه وعلقه فتية من أهل المدينة، فجعل يخبرهم خبر السماء

والأرض، وخبر الآخرة، حتى آمنوا بالله وصدقوه. وكانوا على مثل حاله من حسن الهيئة، وكان شرط على صاحب الحمام، أن الليل لا يحول بيني وبينه أحد، ولا بين الصلاة، وكان على ذلك، حتى أتى ابن الملك بامرأة، فدخل بها الحمام، فغيره الحمامي، وقال له: أنت ابن الملك وتدخل مع هذه! فاستحيا وذهب، ثم رجع مرة أخرى، فقال له مثل ذلك فسبه وانتهره، ولم يلتفت إليه حتى دخلاه جميعاً فماتا معاً في الحمام.

فأتى الملك، فقليل له: صاحب الحمام قتل ابنك، فالتمس فلم يقدر عليه وهرب. فقال: من كان يصحبه؟ فسموا الفتية فالتمسوا فخرجوا من المدينة، فمروا على صاحب لهم في زرع، وهو على مثل إيمانهم، فذكروا له أنهم التمسوا، فانطلق معهم، وكان معه كلب، حتى آواهم الليل إلى كهف، فقالوا: نبيت هاهنا الليلة ثم نصبح، فترون رأيكم فضرب الله على آذانهم، فخرج الملك في أصحابه يطلبهم، فتبعوهم حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف، فكلما أراد الرجل منهم دخوله، أرعب فلم يطق أحد منهم أن يدخله، فقال قائل من أصحاب الملك: أليس لو كنت تقدر عليهم قتلتهم. قال: بلى. قال: فابن عليهم باب الكهف، واتركهم فيه يموتون جوعاً وعطشاً، ففعل ذلك.

قال وهب: فمكثوا بعد ما سد عليهم باب هذا الكهف، زماناً بعد زمان، ثم إن راعياً أدركه المطر عند باب الكهف، فقال في نفسه: لو فتحت باب هذا الكهف، وأدخلت فيه غنمي من المطر، فلم يزل يعالجه حتى فتحه، ورد الله عليهم أرواحهم من الغد، حين أصبحوا.

قال محمد بن إسحاق: ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح، يقال له تاودوسيوس، فلما ملك بقي في ملكه ثمانية وثمانين سنة، فتحزب الناس في ملكه، وكانوا أحزاباً، فمنهم من يؤمن بالله ويعلم أن الساعة حق، ومنهم من يكذب بها، فكبر ذلك على الملك الصالح، وشكا إلى الله وتضرع إليه، وحزن حزناً شديداً، لما رأى أهل الباطل يزدون ويظهرون على أهل الحق، ويقولون: لا حياة إلا الحياة الدنيا، وإنما تبعث الأرواح ولا تبعث الأجساد، فأما الجسد فتأكله الأرض، ونسوا ما في الكتاب.

فجعل تاودوسيوس يرسل إلى كل من يظن فيه خيراً وأنه معه على الحق، فجعلوا يكذبون بالساعة، حتى كادوا يحولون الناس عن الحق وملة الحواريين، فلما رأى ذلك الملك الصالح تاودوسيوس، دخل بيته وأغلقه عليه ولبس مسحاً، وجعل تحته رماداً ثم جلس عليه، فدأب ليلاً ونهاراً يتضرع إلى الله ويبكي مما يرى فيه الناس، ويقول: أي رب قد ترى اختلاف هؤلاء، فابعث إليهم من يبين لهم.

ثم إن الرحمن الرحيم الذي يكره هلكة العباد، أراد أن يظهر الفتية أصحاب الكهف، ويبين للناس شأنهم ويجعلهم آية تبين لهم، وحجة عليهم، ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يستجيب لعبده الصالح تاودوسيوس، وأن يتم نعمته عليه، وأن لا ينزع عنه ملكه ولا الإيمان الذي أعطاه، وأن يعبد الله ولا يشرك به شيئاً، وأن يجمع من كان ببلده من المؤمنين، فألقى الله عز وجل في نفس رجل من أهل ذلك الجبل، الذي به أهل الكهف أن يبني فيه حظيرة لغنمه، فاستأجر عاملين، فجعلوا ينزعان تلك الأحجار، وبينان بها تلك الحظيرة، حتى فرغ ما على فم الكهف، وفتح عليهم باب الكهف، وحجبهم الله عن الناس بالرعب، فیزعمون أن أشجع من يريد أن ينظر إليهم، من يدخل من باب الكهف، ثم يتقدم حتى يرى كلبهم دونهم، إلى باب الكهف قائماً، فلما نزع الحجارة، وفتح عليهم باب الكهف، أذن الله ذو القدرة والعظمة والسلطان، محي الموتى، أن يجلسوا بين ظهراي الكهف، فجلسوا فرحين مستبشرة وجوههم، طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض، حتى كأنما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون فيها، إذا أصبحوا من ليلتهم التي يبيتون فيها، ثم قاموا إلى الصلاة، فصلوا كالذي كانوا يفعلون، لا يرى في وجوههم، ولا في أبشارهم، ولا في ألوانهم شيء يكرهونه، إنما هم كهيئتهم حين رقدوا، وهم يرون أن ملكهم دقيانوس الجبار في طلبهم.

فلما قضوا صلاتهم، قالوا لتمليخا صاحب نفقتهم: ائتنا يا أخي بالذي قال الناس في شأننا، عشية أمس عند الجبار، وهم يظنون أنهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون أمس، وقد خيل إليهم أنهم ناموا كأطول ما كانوا ينامون في الليلة التي



أصبحوا فيها، حتى تساءلوا بينهم، فقال بعضهم لبعض " كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم " وكل ذلك في أنفسهم يسير، فقال لهم تملخوا: افتقدتم والتمستم بالمدينة، وهو يريد أن يأتي بكم اليوم، فتذبحون للطواغيت، أو يقتلكم، فما شاء الله بعد ذلك فعل. فقال لهم مكسلمينا: يا أخوتاه، اعلموا أنكم ملاقو الله، فلا تكفروا بعد إيمانكم إذا دعاكم غداً. ثم قال تملخوا: انطلق إلى المدينة، فتسمع ما يقال لنا بها اليوم، وما الذي نذكر به عند دقيانوس، وتلطف ولا تشعرن بنا أحداً، وابتغ لنا طعاماً واثتنا به، فإنه قد نالنا الجوع وزدنا على الطعام الذي تجيئنا به العادة، فإنه كان قليلاً وقد أصبحنا جوعاً.

ففعل تملخوا كما كان يفعل، وخرج ووضع ثيابه، وأخذ الثياب التي كان يتنكر فيها، وأخذ ورقاً من نفقتهم، التي كانت معهم، التي ضربت بطابع دقيانوس، وكانت كخفاف الربع، فانطلق تملخوا خارجاً، فلما مر بباب الكهف، رأى الحجارة منزوعة عن باب الكهف، فعجب منها، ثم مر فلم يبال بها حتى أتى باب المدينة مستخفياً، يصد عن الطريق تخوفاً من أن يراه أحد من أهلها، فيعرفه فيذهب به إلى دقيانوس الجبار، ولم يشعر بالعبد الصالح، وأن دقيانوس وأهله قد هلكوا قبل ذلك بثلاثمائة سنة.

فلما رأى تملخوا باب المدينة، رفع رأسه فرأى فوق ظهر الباب علامة تكون لأهل الإيمان، فلما رآها عجب وجعل ينظر إليها مستخفياً، فنظر يميناً وشمالاً فلم ير أحداً ممن يعرفه. ثم ترك ذلك الباب، وتحول إلى باب آخر من أبوابها، فرأى مثل ذلك، فجعل يخيل إليه أن المدينة ليست بالتي كان يعرفها، ورأى ناساً كثيرين محدثين لم يكن يعرفهم قبل ذلك، فجعل يمشي ويتعجب منهم ومن نفسه، ويخيل إليه أنه حيران ثم رجع إلى الباب الذي أتى منه، فجعل يتعجب منهم ومن نفسه، ويقول: يا ليت شعري أما هذه عشية أمس كان المسلمون يخفون هذه العلامة، ويستخفون بها فأما اليوم فإنها ظاهرة، لعلني حالم! ثم يرى أنه ليس بنائم.

فأخذ كساءه وجعله على رأسه، ثم دخل المدينة فجعل يمشي بين ظهراني سوقها فيسمع ناساً كثيرين يحلفون بالله، ثم بعيسى ابن مريم فزاده عجباً! ورأى كأنه حيران، فقام مسنداً ظهره إلى جدار من جدران المدينة، ويقول في نفسه: والله ما أدري ما هذا؟ أما عشية أمس فليس على وجه الأرض إنسان يذكر عيسى ابن مريم إلا قتل، وأما الغداة فأسمع كل إنسان يذكر أمر عيسى ابن مريم ولا يخاف. ثم قال في نفسه: لعل هذه المدينة ليست التي أعرفها، أسمع كلام أهلها ولا أعرف أحداً منهم. والله ما أعلم مدينة أقرب من مدينتنا، ثم قام كالحيران لا يتوجه وجهاً، ثم لقي فتى من أهل المدينة، فقال: يا فتى ما اسم هذه المدينة؟ فقال: افسوس. فقال في نفسه: لعل بي مساً أو أمراً أذهب عقلي، والله يحق لي أن أسرع إلى الخروج منها، قبل أن أخرج منها ويصيبني سوء فأهلك.

هذا الذي حدث به تملخوا أصحابه حين تبين له حالهم. ثم إنه أفاق فقال: والله لو عجلت الخروج من المدينة، قبل أن يفطن بي لكان أكيس بي، فدنا من الذين يبيعون الطعام، فأخرج الورق التي كانت معه، فأعطاهم رجلاً منهم فقال: يا عبد الله بعني بهذه الورق طعاماً، فأخذها الرجل، ونظر إلى ضرب الورق ونقشها، وعجب منها ثم طرحها إلى رجل من أصحابه، فنظر إليها، ثم جعلوا يتطارحونها بينهم، من رجل إلى رجل، وهم يعجبون منها، ثم جعلوا يتشاورون من أجله، ويقول بعضهم: إن هذا الرجل قد أصاب كنزاً خبيئاً في الأرض منذ زمان ودهر طويل، فلما رآهم يتشاورون من أجله فرق فرقاً شديداً، وحزن حزناً عظيماً، وجعل يرتعد ويظن أنهم فطنوا به وعرفوه، وإنما يريدون أن يحملوه إلى ملكهم دقيانوس، وجعل أناس آخرون يأتونه فيتعرفونه، فقال لهم، وهو شديد الفرق: اقضوني حاجتي، فقد أخذتم ورقتي، وإلا فامسكوا طعامك فلا حاجة لي فيه.

فقالوا له: من أنت يا فتى وما شأنك؟ والله لقد وجدت كنزاً من كنوز الأولين وأنت تريد أن تخفيه منا، فانطلق معنا وشاركنا فيه، يخف عليك ما وجدت، فإنك إن لم تفعل نأت بك السلطان فنسلمك إليه فيقتلك، فلما سمع قولهم، عجب في نفسه وقال: قد وقعت في كل شيء أحذر منه، ثم قالوا: يا فتى والله إنك

لا تستطيع أن تكتم شيئاً وجدته، ولا تظن في نفسك أن ستخفى عليك. فجعل تمليخا لا يدري ما يقول، وما يرجع إليهم وافرقت حتى ما يحير إليهم جواباً.

فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كساءه فطوقوه في عنقه، ثم جعلوا يقودونه في سكك المدينة مكبلاً، حتى سمع به كل من فيها. فقيل: أخذ رجل عنده كنز، واجتمع عليه أهل المدينة صغيرهم وكبيرهم، فجعلوا ينظرون إليه ويقولون: والله ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة، وما رأيناه فيها قط وما نعرفه، فجعل تمليخا ما يدري ما يقول لهم، مع ما سمع منهم. فلما اجتمع عليه أهل المدينة، فرق وسكت ولم يتكلم، ولو قال إنه من أهل المدينة لم يصدق. وكان مستيقناً إن أباه وأخوته بالمدينة، وأن حسبه في أهل المدينة، من عظماء أهلها، وأنهم سيأتونه إذا سمعوا، وقد استيقن أنه عشية أمس، كان يعرف كثيراً من أهلها، وأنه لا يعرف اليوم من أهلها أحد.

فبينما هو قائم كالحيوان ينتظر من يأتيه من أهله إما أبوه أو بعض أخوته، فيخلصه من أيديهم، إذ اختطفوه فانطلقوا به إلى رئيسي المدينة ومدبريها اللذين يدبران أمرها، وهما رجلان صالحان، اسم أحدهما أرموس والآخر اصطفوس، فلما انطلق به إليهما، ظن تمليخا إنما ينطلق به إلى دقيانوس الجبار ملكهم الذي هربوا منه. فجعل يلتفت يميناً وشمالاً، وجعل الناس يسخرون به، كما يسخرون من المجنون والحيوان، وجعل تمليخا يبكي ثم رفع رأسه إلى السماء، وقال: اللهم إله السماء وإله الأرض، أفرغ علي اليوم صبراً، وأولج معي روحاً منك، تؤيدني به عند هذا الجبار، وجعل تمليخا يبكي ويقول في نفسه: فرق بيني وبين أخوتي يا ليتهم يعلمون ما لقيت، وأين يذهب به فلو أنهم يعلمون فيأتوني، فنقوم جميعاً بين يدي هذا الجبار، فإننا كنا توافقنا لنكونن معاً لا نكفر بالله ولا نشرك به شيئاً، ولا نعبد الطواغيت من دون الله عز وجل، فرق بيني وبينهم فلم أرهم ولم يروني، وقد كنا توافقنا أن لا نفترق في حياة ولا موت أبداً، يا ليت شعري ما هو فاعل بي أقاتلي أم لا؟

هذا ما حدث به تمليخا أصحابه عن نفسه حين رجع إليهم، ثم انتهى به إلى الرجلين الصالحين أرموس واصطفوس، فلما رأى تمليخا أنه لم يذهب به إلى

دقيانوس أفاق وسكن عنه البكاء، فأخذ أرموس واصطفوس الورق فنظرا إليها وعجبا منها، ثم قال له أحدهما: أين الكنز الذي وجدته يا فتى؟ فهذا الورق يشهد عليك أنك قد وجدت كنزاً! فقال له تمليخا: ما وجدت كنزاً، ولكن هذا الورق ورق آبائي، ونقش هذه المدينة وضربها. ولكني والله ما أدري ما شأني وما أدري ما أقول لكم! فقال أحدهما: من أنت؟ فقال له تمليخا: أما ما أرى، فإني كنت أرى أني من أهل هذه المدينة. فقالوا له: من أبوك ومن يعرفك بها؟ فأنبأهم باسم أبيه، فلم يجدوا أحداً يعرفه ولا أباه. فقال له أحدهما: أنت رجل كذاب لا تخبر بالحق، فلم يدر تمليخا ما يقول لهم، غير أنه نكس رأسه إلى الأرض، فقال بعض من حوله: هذا الرجل مجنون، وقال بعضهم: ليس بمجنون ولكنه يحدق نفسه عمداً، لكي يفلت منكم. فقال له أحدهما ونظر إليه نظراً شديداً: أظن أنا نرسلك ونصدقك هذا مال أبيك، ونقش هذا الورق وضربها، أكثر من ثلاثمائة سنة؟ وأنت غلام شاب تظن أنك تأفكنا وتسخر بنا، ونحن شمس كما ترى، وحولك سراة أهل المدينة، وولادة أمرها وخزائن هذه البلدة بأيدينا، وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار. وإني لأظنني سأمر بك فتضرب وتعذب عذاباً شديداً، ثم أوثقك حتى تقر بهذا الكنز الذي وجدت.

فلما قال له ذلك، قال له تمليخا: أنبئوني عن شيء أسألكم عنه، فإن فعلتم صدقتكم ما عندي؟ قالوا: سل لا نكتك شيئاً. قال: فما فعل الملك دقيانوس؟ فقالوا له: ليس نعرف اليوم على وجه الأرض ملكاً يسمى دقيانوس، ولم يكن إلا ملكاً قد هلك منذ زمان ودهر طويل، وقد هلكت بعده قرون كثيرة.

فقال لهم تمليخا: فوالله ما يصدقني أحد من الناس بما أقول: لقد كنا فتية الملك، وأنه أكرهنا على عبادة الأوثان والذبح للطواغيت، فهربنا منه عشية أمس، فنمنا، فلما انتبهنا خرجت لأشتري لأصحابي طعاماً وأتجسس لهم الأخبار، فإذا أنا كما ترون، فانطلقوا معي إلى الكهف الذي في جبل منحلوس، أريكم أصحابي، فلما سمع أرموس واصطفوس ما يقول تمليخا، قالوا: يا قوم لعل هذه آية من آيات الله عز وجل، جعلها الله لكم على يدي هذا الفتى، فانطلقوا

بنا معه يرينا أصحابه كما قال. فانطلق معه أرموس واصطفوس، وانطلق معهما أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا إليهم.

ولما رأى الفتية أصحاب الكهف، تملixa قد احتبس عنهم بطعامهم وشرابهم، عن القدر الذي كان يأتيهم فيه، ظنوا أنه قد أخذ وذهب إلى ملكهم دقيانوس، الذي هربوا منه. فبينما هم يظنون ذلك ويتخوفونه إذا سمعوا الأصوات، وجلبة الخيل مصعدة نحوهم، فظنوا أنهم رسل الجبار دقيانوس، بعث إليهم ليؤتى بهم، فقاموا حين سمعوا ذلك إلى الصلاة وسلم بعضهم على بعض، وقالوا: انطلقوا بنا إلى أخينا تملixa، فإنه الآن بين يدي الجبار دقيانوس، ينتظر متى نأتيه. فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس بين ظهراي الكهف فلم يروا إلا أرموس وأصحابه، وقوماً وقوفاً على باب الكهف، وقد سبقهم تملixa فدخل عليهم وهو يبكي، فلما رأوه يبكي بكوا معه، ثم سأله عن شأنه فأخبرهم بخبره وقص عليهم المسألة فعرفوا عند ذلك أنهم كانوا نياماً بإذن الله تعالى ذلك الزمان كله، وإنما أوقظوا ليكونوا آية للناس وتصديقاً للبعث، وليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها.

ثم دخل على أثر تملixa أرموس، فرأى تابوتاً من نحاس مختوماً بخاتم من فضة، فقام بباب الكهف ودعا رجالاً من عظماء أهل المدينة، ففتح التابوت عندهم فوجدوا فيه لو حين من رصاص، مكتوباً فيهما: إن مكسلينا واملixa أو تملixa مرطوكش ونوالس وسانيوس وبطنيوس وكشفوطط كانوا فتية، هربوا من ملكهم دقيانوس الجبار، مخافة أن يفتنهم عن دينهم، فدخلوا في هذا الكهف، فلما أخبر بمكانهم أمر بهذا الكهف فسد عليهم بالحجارة، وأنا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلم من بعدهم إن عثر عليهم.

فلما قرؤوه عجبوا وحمدوا الله عز وجل، الذي أراهم آية البعث فيهم. ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم جلوساً بين ظهرايهم ووجوههم مشرقة لم تبل ثيابهم. فخر أرموس وأصحابه سجداً لله تعالى وحمدوا الله الذي أراهم آية من آياته، ثم كلم بعضهم بعضاً وأنبأهم الفتية عن الذي لقوا من ملكهم دقيانوس الجبار. ثم إن أرموس

وأصحابه بعثوا بريدًا إلى ملكهم الصالح تاودوسيوس، أن عجل لعلك تنظر إلى آية في آيات الله تعالى، جعلها الله آية على ملكك وجعلها آية للعالمين ليكون ذلك نوراً وضياءً وتصديقاً بالبعث، فاعجل على فتية بعثهم الله وكان قد توفاهم منذ أكثر من ثلاثمائة سنة.

فلما أتى الملك الخبر قام من السدة التي كان عليها ورجع إليه عقله، وذهب عنه همه، ورجع إلى الله تعالى، وقال: أحمد الله رب العالمين رب السموات والأرض، وأعبدك وأسبح لك تطولت علي ورحمتني برحمتك، فلم تطفئ النور الذي كنت جعلته لأبائي وللعبد الصالح قسطنطوس الملك، فلما أنبئ به أهل المدينة ركبوا إليه وساروا معه حتى صعدوا نحو الكهف وأتوه، فلما رأوا الفتية تاودوسيوس، فرحوا به وخرروا سجداً على وجوههم. وقام تاودوسيوس قدامهم، ثم اعتنقهم وبكى، وهم جلوس بين يديه على الأرض، يسبحون الله تعالى ويحمدونه، ثم قال الفتية لتاودوسيوس: نستودعك الله، ونقرأ عليك السلام، حفظك الله ومد ملكك، ونعيفك بالله من شر الجن والإنس. فبينما الملك قائم، رجعوا إلى مضاجعهم فناموا، وتوفى الله أرواحهم.

وقام الملك فجعل ثيابه عليهم، وأمر أن يجعل لكل واحد تابوت من ذهب. فلما أمسوا ونام، أتوه في المنام، وقالوا: إنا لم نخلق من ذهب ولا فضة، ولكننا خلقنا من التراب وإلى التراب نصير. فاتركنا كما كنا في الكهف على التراب، حتى يبعثنا الله، فأمر الملك حينئذ بتابوت من ساج، فجعلوا فيه. وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب، فلم يقدر أحد أن يطلع عليهم، وأمر الملك فجعل على باب الكهف مسجداً يصلّي فيه. وجعل لهم عيداً عظيماً، وأمر أن يؤتى كل سنة.

وقيل: إنهم لما أتوا باب الكهف، قال لهم تملخوا: دعوني حتى أدخل على أصحابي فأبشرهم، فإنهم إن رأوكم معي أرعبتموهم، فدخل فبشرهم، وقبض الله روحه وأرواحهم، وعمي عليهم فلم يهتدوا إليهم. فهذا حديث أصحاب الكهف.

ويقال إن النبي صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن يريه إياهم، فقال تعالى: إنك لن تراهم في دار الدنيا، ولكن ابعث إليهم أربعة من خيار أصحابك ليلغوهم رسالتك ويدعوهم إلى الإيمان بك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل: كيف أبعث إليهم؟ فقال: ابسط كساءك، واجلس على طرف من أطرافه أبا بكر، وعلى الثاني عمر، وعلى الثالث علياً، وعلى الرابع أبا ذر، ثم ادع الرخاء المسخرة لسليمان بن داود عليهما السلام، فإن الله تعالى أمرها أن تطعيك. ففعل النبي صلى الله عليه وسلم ما أمر به، فحملتهم الريح حتى انطلقت بهم إلى باب الكهف، فلما دنوا من الباب قلعوا منه حجراً، فقام الكلب فنبح عليهم حين أبصر الضوء، وهر وحمل عليهم، فلما رأهم حرك رأسه وبصيص بذنبه، وأوماً برأسه أن ادخلوا الكهف، فدخلوا فقالوا: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد الله عليهم أرواحهم، فقاموا بأجمعهم، وقالوا: وعليكم السلام وعلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دامت السموات والأرض، وعليكم بما بلغتم ثم جلسوا بأجمعهم يتحدثون، فأمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقبلوا دين الإسلام. وقالوا: اقرؤوا محمداً منا السلام، ثم أخذوا مضاجعهم وصاروا إلى رقدتهم، إلى آخر الزمان، عند خروج المهدي. ويقال إن المهدي يسلم عليهم فيحييهم الله ثم يرجعون إلى رقدتهم فلا يقومون إلى يوم القيامة.

وقد رأيت في كتاب الشفاء، للإمام أبي الربيع سليمان بن سيع، ما نصه: روي أن عيسى عليه السلام يعمر بعد الدجال ويأجوج ومأجوج أربعين سنة، ويكون حواريوه أصحاب الكهف والرقيم ويحجون معه، لأنهم لم يحجوا. انتهى ما نقله ابن سيع.

ثم نرجع إلى سياق الثعلبي، قال: ثم جلس كل واحد منهم على مكانه وحملتهم الريح، فهبط جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بما كان منهم. فلما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم: كيف وجدتموهم وما الذي أجابوا؟ فقالوا: يا رسول الله دخلنا عليهم فسلمنا عليهم، فقاموا بأجمعهم فردوا علينا السلام، وبلغناهم رسالتك فأجابوا وأنابوا، وشهدوا أنك رسول الله حقاً، وحمدوا الله على ما أكرمهم بخروجك وتوجيه رسلك

إليهم. وهم يقرؤونك السلام. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم لا تفرق بيني وبين أصهاري وأحبائي، واغفر لمن أحبني، وأحب أهل بيتي وأحب أصحابي. فذلك قوله تعالى " إذ أوى الفتية إلى الكهف " أي صار يضم الفتية. قال الثعلبي: كان أصحاب الكهف صيارفة.

قوله عز وجل " إلى الكهف " هو غار بجبل منحلوس. وقيل: بناحيوس واسم الكهف حرم، وقيل خدم. قوله تعالى: " فقالوا ربنا أتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً " أي يسر لنا ما نلتمس من رضاك، وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: رشداً أي مخرجاً من الغار في سلامة، وقيل: صواباً. قوله تعالى: " فضربنا على آذانهم في الكهف، وهذا من فصاحات القرآن، التي أقرت العرب القصور عن الإتيان بمثله. ومعناه أمنائهم وألقينا وسلطنا عليهم النوم. كما يقال ضرب الله فلاناً بالفالج، أي ابتلاه به وأرسله عليه. وقيل: معناه حجبناهم عن السمع، وسددنا نفوذ الصوت إلى مسامعهم. وهذا وصف الأموات والنيام. وقال قطرب: هو كقول العرب ضرب الأمير على يد الرعية، إذا منعهم من العبث والفساد، وضرب السيد على يد عبده المأذون له في التجارة، إذا منعه من التصرف. وقال الأسود بن يعفر، وكان ضريراً، في ذلك: ومن الحوادث لا أبالي أنني ضربت على الأرض بالأسداد قوله عز وجل " سنين عدداً " أي معدودة وهي نعت السنين، والعد المصدر والعدد الاسم المعدود كالنقض والنقض، والقص والقصص، والخبط والخبط.

وقال أبو عبيدة: هو نصب على المصدر. قوله تعالى: " ثم بعثناهم " يعني من بعد موتهم، " لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً " وذلك حين تنازع المسلمون الأولون أصحاب الملك، والمسلمون الآخرون الذين أسلموا حين رأوا أصحاب الكهف، في قدر مدة لبثهم في الكهف. فقال المسلمون الأولون: لبثوا في الكهف ثلاثمائة سنين وتسع سنين، وقال المسلمون الآخرون: بل لبثوا كذا وكذا. فقال الأولون: الله أعلم بما لبثوا. فذلك قوله تعالى: " ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين " أي: أي الفريقين أحصى، أي أضبط وأحفظ، لما لبثوا، أي



مكثوا في كهفهم نياماً أمداً، غاية. وقال مجاهد: عدداً. وفي نصبه وجهان: أحدهما على التفسير والثاني مفعول لبثوا.

قوله عز وجل: "نحن نقص عليك" أي نقرأ وننزل عليك "نبأهم بالحق"، أي خبر أصحاب الكهف. "إنهم فتية" أي شباب وأحداث "آمنوا بربهم"، حكم الله لهم بالفتوة، حين آمنوا بلا واسطة. لذلك قال أهل اللسان: رأس الفتوة الإيمان. وقال الجنيد: الفتوة بذل الندى، وكف الأذى، وترك الشكوى. وقيل: الفتوة شيان: اجتناب المحارم واستعمال المكارم. وقيل: الفتى من لا يدعي قبل الفعل، ولا يذكر نفسه بعد الفعل. وقيل: ليس الفتى من يصبر على السياط، إنما الفتى من يجوز على الصراط، وليس الفتى من يصبر على المسكين إنما الفتى من يطعم المسكين. قوله تعالى: "وزدناهم هدى" أي إيماناً وبصيرة وإيقاناً. "وربطنا" أي شددنا "على قلوبهم" بالصبر، وألهمناهم ذلك وقويناهم بنور الإيمان حين صبروا على هجران دار قومهم، وفراق ما كانوا فيه من خفض العيش، وفروا بدينهم إلى الكهف "إذ قاموا" بين يدي دقيانوس "فقالوا" حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم: "ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً"، أي لا نعبد من دونه إلهاً، "لقد قلنا إذا شططاً"، قال ابن عباس ومقاتل رضي الله تعالى عنهم: جوراً. وقال قتادة، رحمه الله تعالى: كذباً.

وأصل الشطط والإشطاط مجاوزة القدر والإفراط. "هؤلاء قومنا": بمعنى أهل بلدهم، "اتخذوا" أي عبدوا "من دونه آلهة" يعني من دون الله الأصنام يعبدونها. "لولا" هلا "يأتون عليهم" على عبادتهم "بسلطان بين"، أي حجة واضحة "فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً"، بزعم أن له شريكاً وولداً. ثم قال بعضهم لبعض: "وإذ اعتزلتموهم"، يعني قومهم "وما يعبدون إلا الله"، أي واعتزلتم أصنامهم التي يعبدونها من دون الله. وكذلك هو في مصحف عبد الله: وما يعبدون من دون الله.

"فأووا إلى الكهف" أي صيروا إليه "ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا: "أي رزقاً رغداً. والمرفق ما يرتفق به الإنسان. وفيه

لغتان مرفق بفتح الميم وكسر الفاء، وهي قراءة أهل المدينة والشام وعاصم في بعض الروايات. ومرفق بكسر الميم وفتح الفاء وهي قراءة الباقيين. قوله تعالى: " وترى الشمس إذا طلعت " أي وترى يا محمد الشمس " إذا طلعت تزاور " أي تتزاور. قرأ أهل الكوفة بالتخفيف على حذف إحدى التاءين، وقرأ أهل الشام ويعقوب: تزور، على وزن تحمر وكلها بمعنى واحد أي تميل وتعديل عن كهفهم، " ذات اليمين " أي جانب اليمين. " وإذا غربت تقرضهم " . قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: تدعهم. وقال مقاتل بن حيان: تجاوزهم. وأصل القرض القطع " ذات الشمال وهم في فجوة منه " . أي متسع من الكهف. وجمعها فجوات وأفجاء وفجاء.

أخبرنا الله بحفظه إياهم في مضجعهم، واختياره لهم أصلح المواضع للرقاد، فأعلمنا أنه يراهم في فضاء من الكهف، مستقبلاً بنات نعش، تميل عنهم الشمس طالعة وغاربة وجارية، فلا تدخل عليهم فتؤذيهم بحرهما، وتغير من ألوانهم وتبلي ثيابهم، وأنهم في متسع منه ينالهم فيه برد الريح ونسميها، وتنفي عنهم كربة الغار وغمومه، " ذلك " ما ذكرنا من أمر الفتية " من آيات الله " ، أي من عجائب صنع الله ودلالات قدرته.

قوله عز وجل: " من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً " لأن التوفيق والخذلان بيد الله عز وجل، " وتحسبهم " يا محمد " أيقاظاً " متبهمين جمع يقظ ويقظ، مثل قولك رجل نجد ونجد للشجاع وجمعه أنجاد، " وهم رقود " يعني نيام، جمع راقد، مثل قاعد وقعود. " ونقلبهم " بالتخفيف والتشديد، " ذات اليمين وذات الشمال " ، مرة للجانب الأيمن ومرة للجانب الأيسر.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: كانوا يقلبون في السنة مرة، من جانب إلى جانب لئلا تأكل الأرض لحومهم، ويقال: إن يوم عاشوراء كان يوم تقلبهم، وقال أبو هريرة: كان لهم في السنة تقلبتان " وكلبهم " ، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: كان أحمر. وقال مقاتل: كان أصفر. وقال القرطبي: من شدة

صفرتة يضرب إلى الحمرة. وقال الكلبي: لونه كالخلنج. وقيل: لون الحجر،  
وقيل: لون السماء.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: كان اسمه ريان. وقال ابن  
عباس رضي الله تعالى عنهما: قطمير. وقال الأوزاعي: مشير. وقال سعيد  
الحماد: حران. وقال عبد الله بن كثير: إن اسم كلبهم قطمور. وقال السدي:  
اسمه تون. وقال عبد الله بن سلام: بسيط. وقال كعب: صيهان. وقال وهب:  
اسمه نقياً. وقيل: قطفير. وقيل: قطيفير. وقال عروة: مما أخذ على العقرب، أن  
لا يضر بأحد في ليل ولا نهار، قال: "سلام على نوح" قال: ومما أخذ على  
الكلب أن لا يضر بأحد، ممن حمل عليه، إذ قال: "وكلبهم باسط ذراعيه  
بالوصيد" وقرأ جعفر الصادق: وكالبهم، يعني صاحب الكلب باسط ذراعيه  
بالوصيد. وقال مجاهد والضحاك: الوصيد فناء الكهف، وهي رواية علي بن أبي  
طلحة، عن ابن عباس.

وقال سعيد بن جبير: الوصيد الصعيد، وهو التراب وهي رواية عطية العوفي،  
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. وقال السير: الوصيد الباب، وهي رواية  
عكرمة عن ابن عباس وأنشد قول الشاعر:

بأرض فضاء لا يسد وصيدها ... علي ومعروفي بها غير منكر  
أي بابها.

وقال عطاء: الوصيد عتبة الباب. وقال العتبي: الوصيد البناء، وأصله من  
قول العرب أصدت الباب وأوصدته، إذا أغلقته وأطبقتة. قوله تعالى: "لو  
اطلعت عليهم" يا محمد "لوليت منهم فراراً" لما ألبسهم الله تعالى من  
الهيئة، حتى لا يصل إليهم واصل، ولا تلمسهم يد لامس حتى يبلغ الكتاب  
أجله، فيوقظهم الله تعالى من رقدتهم، لإرادة الله عز وجل أن يجعلهم آية وعبرة  
لمن يشاء من خلقه، ليعلموا أن وعد الله حق، وأن الساعة لا ريب فيها "و  
لملئت منهم رعباً" أي خوفاً. وقرأ أهل الكوفة: لملئت بالتشديد، قيل: إنما  
قال ذلك لوحشة المكان الذي هم فيه. وقال الكلبي وغيره: لأن أعينهم مفتحة

كالمستيقظ الذي يريد أن يتكلم، وهم نيام. وقيل: إن الله منعهم بالرعب، لئلا يراهم أحد.

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أنه غزا مع معاوية غزوة المضيق نحو الروم، فمروا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف، الذين ذكرهم الله في القرآن فقال معاوية: لو كشفت لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم؟ فقال له ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ليس لك ذلك، قد منع الله ذلك من هو خير منك. قال الله تعالى: " واطلعت عليهم لوليت فراراً ولملئت منهم رعباً " فقال معاوية: لا أنتهي حتى أعلم علمهم، فبعث ناساً، فقال: اذهبوا فادخلوا الكهف، فانظروا ففعلوا. فلما دخلوا الكهف، بعث الله عليهم ريحاً فأخرجتهم.

قوله عز وجل " وكذلك بعثناهم، يعني كما أنمناهم في الكهف، ومنعنا من الوصول إليهم، وحفظنا أجسامهم من البلى على طول الزمان، وثيابهم من العفن على ممر الأيام بقدرتنا، فكذلك بعثناهم من النومة التي تشبه الموت، " ليتساءلوا بينهم " أي ليتحدثوا ويسأل بعضهم بعضاً، " قال قائل منهم " يعني رئيسهم مكسلينا: " كم لبستم " في نومكم؟ وذلك أنهم استنكروا من أنفسهم طول نومهم. ويقال: إنهم راعهم ما فاتهم من الصلاة! فقال ذلك. " قالوا: لبثنا يوماً أو بعض يوم، لأنهم دخلوا الكهف غدوة، فلما رأوا الشمس، قالوا: أو بعض يوم، توقياً من الكذب. وكان قد بقيت من الشمس بقية.

ويقال كان بعد زوال الشمس، فلما نظروا إلى أظفارهم وأبشارهم، تيقنوا أن لبثهم كان أكثر من يوم، ف " قالوا: ربكم أعلم بما لبثتم " ويقال: إن رئيسهم لما سمع الاختلاف بينهم، قال ذلك: " فابعثوا أحدكم " ، يعني تمليخاً، " بورقكم هذه إلى المدينة " ، والورق الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة، والدليل عليه أن عرفة بن ساعد أصيب أنفه يوم الكلاب، فاتخذ أنفاً من ورق وفيه لغات: بورقكم ساكنة الراء. وهي قراءة أبي عمرو وحمزة وخلف وأبي بكر. وبورقكم بكسر الراء وادغام القاف، وهي قراءة بعض، وبورقكم بفتح الواو وكسرها الراء، وهي قراءة أكثر القراء.

ورق وورق مثل كبد وكبد وكلم وكلم، والمدينة أفسوس، وقيل: طرسوس، ويقال: أرسوس كان اسمها في الجاهلية أفسوس، فلما جاء الإسلام سموها طرسوس. فلينظر أيها أركى طعاماً.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وسعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه: أحل ذبيحة لأن عامتهم كانوا مجوساً، ومنهم قوم مؤمنون يخفون إيمانهم. وقال الضحاك: أطيّب. وقال مقاتل وابن حيان: أجود، وقال ابن شهاب: أرخص. وقال قتادة: أخير. وقال عكرمة: أفضل، وأكثر. وأصل الزكاة: الزيات والنماء. قال الشاعر:

قبائلنا سبع وأنتم ثلاثة ... كذا السغ أركى من ثلاث وأطيّب

" فليأتىكم برزق منه " أي قوت وطعام، " وليتلطف " أي وليرفق في الشراء، وفي طريقه وفي دخوله المدينة، " ولا يشعن " ولا يعلمن " بكم أحداً " من الناس " إنهم إن يظهروا عليكم فيعلموا بمكانكم يرجموكم " قال ابن جريج: يشتموكم ويؤذوكم بالقول. ويقال: يقتلوكم ويقال: كان من عادتهم القتل بالرجم، وهو من أخبث القتل. ويقال: يضربوكم أو يعيدوكم في ملتهم أي دينهم الكفر، ولن تفلحوا إذا أبداً إن عدتم إليهم.

قوله عز وجل: " وكذلك أعثرنا عليهم " أي اطلعنا عليهم، يقال: عثرت على الشيء: اطلعت عليه، وأعثرت غيري وأطلعته عليه " ليعلموا أن وعد الله حق " يعني قوم تاودوسيوس، " وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم " قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: يتنازعون في البنيان والمسجد، فقال المسلمون: نبني عليهم مسجداً، لأنهم على ديننا، وقال المشركون: نبني عليهم بنياناً لأنهم من أهل نسبنا. وقال عكرمة: يتنازعون في الأرواح والأجساد.

فقال المسلمون: البعث للأجساد والأرواح، وقال المشركون: البعث للأرواح دون الأجساد. فبعثهم الله تعالى من رقادهم، وأراهم أن البعث للأجساد والأرواح. وقيل: يتنازعون في عددهم " فقالوا ابنوا عليهم بنياناً ربهم أعلم بهم،

قال الذين غلبوا على أمرهم " ، تاودوسيوس الملك وأصحابه " لتتخذن عليهم مسجداً " .

قوله عز وجل : " سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ، وذلك أن السيد والعاقب وأصحابهما ، من نصارى نجران ، كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرئ ذكر أهل الكهف ، فقال السيد : كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم ، وكان السيد يعقوبياً ، وقال العاقب : كانوا خمسة سادسهم كلبهم ، وقال المسلمون : كانوا سبعة وثمانهم كلبهم . فحقق الله قول المسلمين وصدقهم بعدما حكى قول النصارى فقال : " سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب " أي قدفاً بالظن من غير يقين كقول الشاعر :

وأجعل قول الحق قولاً مرجماً

" ويقولون سبعة وثمانهم كلبهم " قال بعضهم : هذه واو الثمانية ، وذلك أن العرب تقول واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة وثمانية لأن العقد عندهم كان سبعة ، كما هو اليوم عندنا عشرة . ونظيره قوله تعالى : " التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، وقوله تعالى لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم : " نيات وأبكارا " وقال بعضهم : هذه واو الحكم والتحقيق ، فإن الله حكى اختلافهم فتم الكلام عند قوله " ويقولون سبعة " ثم حكى أن ثامنهم كلبهم ، الثامن لا يكون إلا بعد السبع . فهذا تحقيق قول المسلمين .

" قل رب أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل " قال مجاهد وقتادة : قليل من الناس ، وقال عطاء وقتادة أيضاً : يعني بالقليل أهل الكتاب . وقال ابن عباس ، في قوله : " ما يعلمهم إلا قليل " قال : أنا من أولئك القليل ، وهم مكسلمينا وتمليخا ومرطونس وبنينونس وساربونس ودوانوانس وكندسلطنوس ، وهو الراعي . والكلب اسمه قطمير كلب أنمر فوق القلطي ، ودون الكردي . والقلطي كلب صيني .

قال محمد بن المسيب: وما بقي بنيسابور محدث إلا كتب عني هذا الحديث، إلا من لم يقدر له. وكتبه علي أبو عمر والجبري زاد الإمام أبو الحسن في روايته فقال: قلت: وصدق ابن المسيب. فقد رأيت في تفسير أبي عمرو الجبري هذا الحديث، مروياً عن ابن المسيب، ثم قال: أعني الإمام أبا الحسن بسنده عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: إن الله عز وجل عدّهم حتى انتهى إلى السبعة، وأنا من القليل الذين يعلمونهم هم سبعة يعني أصحاب الكهف.

## العالم الذي صار مثل الكلب

وهذا هو الموضع الثاني لذكر الكلب في القرآن الكريم ، لكن على صورة الدم:

قال الله تعالى: " واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين لو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث " ، قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما رضي الله تعالى عنهم أجمعين: هو رجل من الكنعانيين الجبارين اسمه بلعم بن باعوراء، وقيل بلعام بن باعر، وقال عطية عن ابن عباس: أصله من بني إسرائيل ولكنه كان مع الجبارين.

وقال مقاتل: هو من مدينة بلقاء، وكانت قصته على ما ذكره ابن عباس والسدي وغيرهما أن موسى صلى الله عليه وسلم لما قصد حرب الجبارين، ونزل أرض كنعان من أرض الشام، أتى قوم بلعم وكانوا كفاراً، وكان بلعم عنده اسم الله الأعظم، وكان مجاب الدعوة، فقالوا له: إن موسى رجل حديد، ومعه جنود كثيرة، وإنه قد جاء ليخرجنا من بلادنا، ويقتلنا ويحلها بني إسرائيل، وأنت رجل مجاب الدعوة، فاخرج وادع الله أن يردهم عنا.

فقال: ويلكم نبي الله ومعه الملائكة والمؤمنون كيف أدعو عليهم، وأنا أعلم من الله ما أعلم؟ وإني إن فعلت هذا ذهبت دنيائي وآخرتي؟ فراجعوه وألحوا عليه، فقال: حتى أوامر ربي وكان لا يدعو بشيء، حتى ينظر ما يؤمر به في المنام، فوامر بالدعاء عليهم، فقل له في المنام: لا تدع عليهم. فقال لهم: إني قد أمرت ربي وإني نهيت. فأهدوا له هدية فقبلها، ثم راجعوه فقال: حتى أوامر ربي فأمره، فلم يجز إليه شيء. فقال: قد وأمرت فلم يجز إلي شيء. فقالوا: لو كره ربك أن تدعو عليهم، لنهاك كما نهاك المرة الأولى، فلم يزالوا يتضرعون إليه حتى فتنوه فافتتن، وأتانا له متوجهاً إلى جبل يطلع منه على عسكر بني إسرائيل، يقال له حسان، فما سار عليها غير كثير حتى ربضت به فنزل عنها، وضربها حتى إذا أذلقتها الضرب، قامت فركبها فلم تسر به كثيراً حتى ربضت، ففعل بها مثل



ذلك، فقامت فركبها فلم تسر به كثيراً حتى ربضت، فضربها حتى أذلقتها، فأذن الله تعالى لها بالكلام، فكلمته حجة عليه، فقالت: ويحك يا بلعم أين تذهب ألا ترى الملائكة أمامي يردوني عن وجهي هذا أتذهب إلى نبي الله والمؤمنين، تدعو عليهم؟ فلم ينزع فخلى الله سبيلها فانطلقت حتى إذا أشرفت على جبل حسان، جعل يدعو عليهم بالاسم الأعظم الذي كان عنده، فاستجيب له ووقع موسى عليه السلام وبنو إسرائيل في التيه.

فقال موسى: يا رب بأي ذنب أوقعتنا في التيه. قال تعالى: بدعاء بلعام. قال موسى عليه السلام: يا رب فكما سمعت دعاءه علينا فاسمع دعائي عليه. فدعا موسى عليه أن ينزع الله تعالى منه الاسم الأعظم. فنزع الله منه المعرفة وصلاحه منها، فخرجت من صدره كحمامة بيضاء. قاله مقاتل.

وقال ابن عباس والسدي: لما دعا بلعام على موسى وقومه، قلب الله لسانه، فجعل لا يدعو عليهم بشيء من الشر إلا صرف الله به لسانه إلى قومه، ولا يدعو بشيء من الخير، إلا صرف الله به لسانه إلى بني إسرائيل، فقال له قومه: يا بلعم أتدري ما تصنع؟ إنما تدعو لهم وعلينا! فقال: هذا ما أملك، هذا شيء قد غلب الله عليه، فنسي الاسم الأعظم واندلع لسانه على صدره. فقال لهم: قد ذهبت مني الآن الدنيا والآخرة، فلم يبق إلا المكر والخديعة والحيلة، فسأمر لكم وأحتال عليهم، جملوا النساء وزينوهن وأعطوهن السلع، ثم أرسلوهن إلى العسكر يبتعنها فيه، ومروهن أن لا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها، فإنهم إن زنى واحد منهم كفيتموهم. ففعلوا.

فلما أتى النساء العسكر، مرت امرأة من الكنعانيين اسمها كستى بنت صور برجل من عظماء بني إسرائيل، يقال له زمري بن شلوم، رأس سبط شمعون بن يعقوب، فقام إليها فأخذ بيدها حين أعجبه جمالها، ثم أقبل بها حتى وقف على موسى عليه السلام، فقال: إني أظنك ستقول هذا حرام علي! فقال موسى: أجل هي حرام عليك لا تقرّبنها. قال: فوالله لا أطيعك في هذا، ثم دخل بها قبة، فوقع عليها، فأرسل الله الطاعون على بني إسرائيل في الوقت.

وكان فنحاص بن العيزار بن هارون صاحب أمر موسى عليه السلام، وكان رجلاً قد أعطي بسطة في الخلق، وقوة في البطش وكان غائباً، حين صنع زمري بن شلوم ما صنع، فجاء الطاعون يجوس بني إسرائيل، فأخبر الخبر فأخذ حربته، وكانت من حديد كلها، ثم دخل عليهما القبة، وهما متضاجعان، فانتظمهما بحربته، ثم خرج بهما رافعهما إلى السماء، والحربة قد أخذها بذراعه، واعتمد بمرفقه على خاصرته، وأسند الحربة إلى الحية وكان بكر العيزار، فجعل يقول: اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك، فرفع الطاعون، فحسب من هلك من بني إسرائيل بالطاعون فيما بين أصاب زمري المرأة إلى أن قتلها فنحاص، فوجد قد هلك منهم سبعون ألفاً في ساعة من النهار. فمن هنالك يعطي بنو إسرائيل ولد فنحاص من كل ذبيحة ذبحوها: القبة والذراع واللقى لاعتماده بالحربة على خاصرته، وأخذها إياها بذراعه وإسناده إياها إلى الحية، والبكر من كل أموالهم وأنفسهم، لأنه كان بكر العيزار. ويقال: إنه لما انتظمهما بالحربة وخرج بهما كانا في الحربة كحالهما في حالة الزنا. فكان ذلك آية.

وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما، وسعيد بن المسيب، وزيد بن أسلم، أن هذه الآية نزلت في أمية بن أبي الصلت، وكان قد قرأ التوراة والإنجيل، وكان يعلم أن الله تعالى يرسل رسولا من العرب، فرجا أن يكون هو ذلك الرسول، فلما أرسل الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به، وكان صاحب حكمة وموعظة حسنة، وكان قصد بعض الملوك، فلما رجع مر على قتلى بدر، فسأل عنهم من قتلهم؟ فقليل قتلهم محمد صلى الله عليه وسلم. فقال: لو كان نبياً ما قتل أقرباءه. وسيأتي إن شاء الله تعالى له ذكر في الوعل أيضاً.

وقالت فرقة: إنها نزلت في رجل من بني إسرائيل، كان قد أعطي ثلاث دعوات مستجابات، وكانت له امرأة له منها ولد، فقالت: اجعل لي منها دعوة، فقال: لك منها واحدة فما تريد؟ قالت: ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل، فدعا لها. فكانت كذلك. فلما علمت أنه ليس فيهم مثلها رغبت عنه، فغضب الزوج، ودعا عليها فصارت كلبة نباحة فذهبت فيها دعوتان، فجاء بنوها

وقالوا: ليس لنا على هذا قرار، وقد صارت أمنا كلبة نباحه، والناس يعيروننا بها، ادع الله أن يردها إلى الحال التي كانت عليه، فدعا الله لها فعادت كما كانت، فذهبت فيها الدعوات كلها. والقولان الأولان أظهر.

وقال الحسن وابن كيسان: نزلت في منافقي أهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم، كما يعرفون أبناءهم. وقال قتادة: هذا مثل ضربه الله تعالى لكل من عرض عليه الهدى، فأبى أن يقبله. قال الله تعالى: "ولو شئنا لرفعناه بها" أي وفقناه للعمل بها، فكنا نرفع بذلك منزلته في الدنيا والآخرة. ولكنه أخلد إلى الأرض، أي ركن إلى الدنيا وشهواتها ولذاتها.

قال الزجاج: خلد وأخلد واحد، وأصله من الخلود وهو الدوام والمقام. يقال: أخلد فلان بالمكان، إذا أقام به. والأرض هنا عبارة عن الدنيا لأن ما فيها من العقار والرباع كلها أرض وسائر متاعها مستخرج من الأرض. واتبع هواه انقاد إلى ما دعاه إليه الهوى، فعوقب في الدنيا بأنه كان يلهث كما يلهث الكلب، فشبه به صورة وهيئة. قال القتيبي: كل شيء يلهث فإنما يلهث من إعياء أو عطش، إلا الكلب فإنه يلهث في حال التعب وحال الراحة، وفي حال الري وحال العطش، فضربه الله مثلاً لمن كذب بآيات الله. فقال: إن وعظته فهو ضال، وإن تركته فهو ضال كالكلب، إن طردته لهث وإن تركته على حاله لهث انتهى.

واللهث تنفس بسرعة، وتحرك أعضاء الفم معه، وامتداد اللسان وخلقة الكلب أنه يلهث على كل حال. قال الواحدي وغيره: وهذه الآية من أشد الآي على ذوي العلم، وذلك أن الله تعالى أخبر أنه آتاه آياته من اسمه الأعظم، والدعوات المستجابة والعلم والحكمة، فاستوجب بالسكون إلى الدنيا واتباع الهوى تغيير النعمة عليه، والانسلاخ عنها. ومن الذي يسلم من هاتين الحالتين إلا من عصمه الله تعالى! نسأل الله التوفيق والهداية بمنه وكرمه.

## أمثال قيلت في الكلب

وقالت العرب: آلف من كلب وأبصر وأبخل وأطوع وأفحش وألأم وأبول فيجوز أن يراد به البول نفسه ويجوز أن يراد به كثرة الجراء، فإن البول في كلام العرب يكنى به عن الولد. وبذلك عبر ابن سيرين رحمه الله تعالى عليه، رؤيا عبد الملك بن مروان لما رأى أنه بال في محراب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مرات، فكتب إليه: إن صدقت رؤياك، فسيقوم من أولادك أربعة في المحراب، ويتقلدون الخلافة بعدك فوليها أربعة خلفاء من صلبه: الوليد وسليمان وهشام ويزيد.

وقالوا: سمن كلبك يأكلك، وهو قريب من قولهم: اتق إساءة من أحسنت إليه، وقالوا: جوع كلبك يتبعك، يضرب في معاشرة اللئام، وقالوا: الكلاب على البقر، برفعها ونصبها، فالنصب على إضممار فعل تقديره خل كلاب الصيد، أودع الكلاب على بقر الوحش لتضطادها، والرفع على الابتداء، وما بعده خبره. ومعنى المثل: إذا أمكنتك الفرصة فاغتنمها. ويقال: معناه خل بين الناس خيرهم وشريرهم، واغتنم أنت طريق السلامة. وقد سئلت عن قول الأخطل:

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم ... قالوا لأهمهم بولي على النار

فتمسك البول بخلا أو تجود به ... وما تبول لهم إلا بمقدار

والخبز كالعنبر الوردي عندهم ... والقمح سبعون أردباً بدینار

وهذا عكس قول شاعر الأنصار حيث يقول:

لله در عصابة نادمتهم ... يوماً بجلق في الزمان الأول

أولاد جفنة حول قبر أبيهم ... قبر ابن مارية الكريم المفضل

يغشون حتى ما تهر كلابهم ... لا يسألون عن السواد المقبل

بيض الوجوه كريمة أحسابهم ... شم الأنوف من الطراز الأول

ومن شعر العتابي رحمه الله تعالى:

طاف الخيال بنا ليلا فحيانا ... أهلا به من ملم زار عجلانا  
ما ضر زائرنا المهدى تحيته ... في النوم إذ زارنا لو زار يقظانا  
إني أهتدي وسواد الليل معتكر ... على تباعد مسراه ومسرا  
إن الأمانى قد خيلن لي سكوناً ... ردت تحيته قلبي كما كانا  
حتى إذا هو ولي وانتبهت له ... هاجت زيارته شوقاً وأحزاناً  
وقال علي بن محمد بن نصير في المعنى بيتاً مفرداً:  
وكان خيالها يشفي سقاماً ... فضنت بالخيال على الخيال  
وقالوا: أشكر من كلب.

حكى محمد بن حرب، قال: دخلت على العتابي فوجدته جالساً على  
حصير، وبين يديه شراب في إناء، وكلب رابض بالفناء بحياله، يشرب كأساً  
ويولعه أخرى، فقلت له: ما الذي أردت بما اخترت؟ فقال: أسمع أنه يكف عني  
أذاه، ويكفيني أذى من سواه، ويشكر قلبي ويحفظ مبيتي ومقيلي، وهو من بين  
الحيوان خليلي. قال ابن حرب: فتمنيت والله أن أكون كلباً له لأحوز هذا النعت  
منه.

وقال صاحب الديك: يقال للسفيه إنما هو كلب، وإنما أنت كلبٌ نباح، وما  
زال ينبح علينا منذ اليوم، وكلبٌ من هذا؟ ويا كلب ابن الكلب، وأخساً كلباً.

وقالوا في المثل: احتاج إلى الصوف من جز كلبه، وأجع كلبك يتبعك،  
وأحب شيء إلى الكلب خانقه، وسمن كلبك يأكلك، وأجوع من كلبة حومل،  
وكالكلب يربض في الآري فلا هو يأكل ولا يدع الدابة تعتلف.

براقش وفي أمثالهم في الشؤم: على أهلها دلت براقش.

وبراقش: كلبه نبحت على جيش مرؤا في جوف الليل وهم لا يشعرون بموضع الحي، فاستدلوا عليهم بنباح الكلبة فاستباحوهم.

الجنّ والحنّ وقال صاحب الديك: روى إسماعيل المكي عن أبي عطاء العطاردي قال: سمعت ابن عباس يقول: السُّود من الكلاب الجنّ، والبُقْع منها الحنّ، ويقال إنّ الحنّ ضعفة الجنّ، كما أنّ الجنّي إذا كفر وظلم وتعدّى وأفسد، قيل شيطان؛ وإن قوي على البنيان والحمل الثقيل، وعلى استراق السمع قيل مارد، فإنّ زاد فهو عفريت، فإن زاد فهو عبقرّي، كما أنّ الرجل إذا قاتل في الحرب وأقدم ولم يحجم فهو الشجاع، فإن زاد فهو البطل، فإن زاد قالوا: بُهْمَة، فإن زاد قالوا: أليس، فهذا قول أبي عبيدة.

وبعض الناس يزعم أنّ الجنّ والجنّ صنفان مختلفان، وذهبوا إلى قول الأعرابي حين أتى بعض الملوك ليكتب في الزمّن، فقال في ذلك:

إن تكتبوا الزمّن فإني لزمّن ... من ظاهر الداء وداٍ مُستكين

أبيت أهوي في شياطين تُرنّ ... مختلف نجارهم حنّ وجنّ

## الكلب في السنة النبوية الشريفة

### الحديث الأول

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا شَرِبَ الْكَلْبُ فِي إِنَاءٍ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْسِلْهُ سَبْعًا (رواه البخاري)

شرح الحديث :

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري :

قوله ( إذا شرب )

كذا هو في الموطأ ، والمشهور عن أبي هريرة من رواية جمهور أصحابه عنه " إذا ولغ " ، وهو المعروف في اللغة ، يقال ولغ يلغ - بالفتح فيهما - إذا شرب بطرف لسانه ، أو أدخل لسانه فيه فحركه ، وقال ثعلب : هو أن يدخل لسانه في الماء وغيره من كل مائع فيحركه ، زاد ابن درستويه : شرب أو لم يشرب . وقال ابن مكى : فإن كان غير مائع يقال لعقه . وقال المطرزي : فإن كان فارغا يقال لحسه . وادعى ابن عبد البر أن لفظ " شرب " لم يروه إلا مالك ، وأن غيره رواه بلفظ " ولغ " ، وليس كما ادعى فقد رواه ابن خزيمة وابن المنذر من طريقين عن هشام بن حسان عن ابن سيرين عن أبي هريرة بلفظ " إذا شرب " لكن المشهور عن هشام بن حسان بلفظ إذا ولغ ، كذا أخرجه مسلم وغيره من طرق عنه ، وقد رواه عن أبي الزناد شيخ مالك بلفظ " إذا شرب " ورقاء بن عمر أخرجه الجوزقي ، وكذا المغيرة بن عبد الرحمن أخرجه أبو يعلى ، نعم وروي عن مالك بلفظ " إذا ولغ " أخرجه أبو عبيد في كتاب الطهور له عن إسماعيل بن عمر عنه ، ومن طريقه أورده الإسماعيلي ، وكذا أخرجه الدارقطني في

الموطآت له من طريق أبي علي الحنفي عن مالك ، وهو في نسخة صحيحة من سنن ابن ماجه من رواية روح بن عباد عن مالك أيضا ، وكأن أبا الزناد حدث به باللفظين لتقاربهما في المعنى ؛ لكن الشرب كما بينا أخص من الولوغ فلا يقوم مقامه . ومفهوم الشرط في قوله إذا ولغ يقتضي قصر الحكم على ذلك ، لكن إذا قلنا إن الأمر بالغسل للتنجيس يتعدى الحكم إلى ما إذا لحس أو لعق مثلا ، ويكون ذكر الولوغ للغالب ، وأما إلحاق باقي أعضائه كيده ورجله فالمذهب المنصوص أنه كذلك لأن فمه أشرفها فيكون الباقي من باب الأولى ، وخصه في القديم الأول ، وقال النووي في الروضة : إنه وجه شاذ . وفي شرح المذهب : إنه القوي من حيث الدليل ، والأولية المذكورة قد تمنع لكون فمه محل استعمال النجاسات .

قوله : ( في إناء أحدكم )

ظاهره العموم في الآنية ، ومفهومه يخرج الماء المستنقع مثلا ، وبه قال الأوزاعي مطلقا ، لكن إذا قلنا بأن الغسل للتنجيس يجري الحكم في القليل من الماء دون الكثير ، والإضافة التي في إناء أحدكم يلغى اعتبارها هنا لأن الطهارة لا تتوقف على ملكه ، وكذا قوله " فليغسله " لا يتوقف على أن يكون هو الغاسل . وزاد مسلم والنسائي من طريق علي بن مسهر عن الأعمش عن أبي صالح وأبي رزين عن أبي هريرة في هذا الحديث " فليرقه " وهو يقوي القول بأن الغسل للتنجيس ، إذ المراق أعم من أن يكون ماء أو طعاما ، فلو كان طاهرا لم يؤمر بإراقته للنهي عن إضاعة المال ، لكن قال النسائي : لا أعلم أحدا تابع علي بن مسهر على زيادة فليرقه . وقال حمزة الكناني : إنها غير محفوظة . وقال ابن عبد البر : لم يذكرها الحفاظ من أصحاب الأعمش كأبي معاوية وشعبة . وقال ابن منده : لا تعرف عن النبي صلى الله عليه وسلم بوجه من الوجوه إلا عن علي بن مسهر



بهذا الإسناد . قلت : قد ورد الأمر بالإراقة أيضا من طريق عطاء عن أبي هريرة مرفوعا أخرجه ابن عدي ، لكن في رفعه نظر ، والصحيح أنه موقوف . وكذا ذكر الإراقة حماد بن زيد عن أيوب عن ابن سيرين عن أبي هريرة موقوفا وإسناده صحيح أخرجه الدارقطني وغيره .

قوله : ( فليغسله )

يقتضي الفور ، لكن حملة الجمهور على الاستحباب إلا لمن أراد أن يستعمل ذلك الإناء .

قوله : ( سبعا )

أي : سبع مرار ، ولم يقع في رواية مالك التريب ولم يثبت في شيء من الروايات عن أبي هريرة إلا عن ابن سيرين ، على أن بعض أصحابه لم يذكره . وروي أيضا عن الحسن وأبي رافع عند الدارقطني وعبد الرحمن والد السدي عند البزار . واختلف الرواة عن ابن سيرين في محل غسلة التريب ، فلمسلم وغيره من طريق هشام بن حسان عنه " أولاهن " وهي رواية الأكثر عن ابن سيرين وكذا في رواية أبي رافع المذكورة ، واختلف عن قتادة عن ابن سيرين فقال سعيد بن بشير عنه " أولاهن " أيضا أخرجه الدارقطني ، وقال أبان عن قتادة " السابعة " أخرجه أبو داود ، وللشافعي عن سفيان عن أيوب عن ابن سيرين " أولاهن أو إحداهن " . وفي رواية السدي عن البزار " إحداهن " وكذا في رواية هشام بن عروة عن أبي الزناد عنه ، فطريق الجمع بين هذه الروايات أن يقال إحداهن مبهمة وأولاهن والسابعة معينة و " أو " إن كانت في نفس الخبر فهي للتخير فمقتضى حمل المطلق على المقيد أن يحمل على أحدهما لأن فيه زيادة على الرواية المعينة ، وهو الذي نص عليه الشافعي في الأم والبويطي وصرح به المرعشي وغيره من الأصحاب وذكره ابن دقيق العيد والسبكي بحثا ، وهو

منصوص كما ذكرنا . وإن كانت " أو " شكا من الراوي فرواية من عين ولم يشك أولى من رواية من أبهم أو شك ، فيبقى النظر في الترجيح بين رواية أولاهن ورواية السابعة ، ورواية أولاهن أرجح من حيث الأثرة والأفضلية ومن حيث المعنى أيضا ؛ لأن ترتيب الأخيرة يقتضي الاحتياج إلى غسلة أخرى لتنظيفه ، وقد نص الشافعي في حرمة على أن الأولى أولى والله أعلم . وفي الحديث دليل على أن حكم النجاسة يتعدى عن محلها إلى ما يجاورها بشرط كونه مائعا ، وعلى تنجيس المائعات إذا وقع في جزء منها نجاسة ، وعلى تنجيس الإناء الذي يتصل بالمائع ، وعلى أن الماء القليل ينجس بوقوع النجاسة فيه وإن لم يتغير ؛ لأن ولوغ الكلب لا يغير الماء الذي في الإناء غالبا ، وعلى أن ورود الماء على النجاسة يخالف ورودها عليه لأنه أمر بإزالة الماء لما وردت عليه النجاسة ، وهو حقيقة في إزالة جميعه وأمر بغسله ، وحقيقته تتأدى بما يسمى غسلا ولو كان ما يغسل به أقل مما أريق .

( فائدة ) :

خالف ظاهر هذا الحديث المالكية والحنفية ، فأما المالكية فلم يقولوا بالترتيب أصلا مع إيجابهم التسبيح على المشهور عندهم ؛ لأن الترتيب لم يقع في رواية مالك ، قال القرافي منهم : قد صحت فيه الأحاديث ، فالعجب منهم كيف لم يقولوا بها . وعن مالك رواية أن الأمر بالتسبيح للندب ، والمعروف عند أصحابه أنه للوجوب لكنه للتعبد لكون الكلب طاهرا عندهم ، وأبدى بعض متأخريهم له حكمة غير التنجيس كما سيأتي . وعن مالك رواية بأنه نجس ؛ لكن قاعدته أن الماء لا ينجس إلا بالتغير ، فلا يجب التسبيح للنجاسة بل للتعبد ، لكن يرد عليه قوله صلى الله عليه وسلم في أول هذا الحديث فيما رواه مسلم وغيره من طريق محمد بن سيرين وهمام بن منبه عن أبي هريرة " طهور إناء

أحدكم " لأن الطهارة تستعمل إما عن حدث أو خبث ، ولا حدث على الإناء فتعين الخبث . وأجيب بمنع الحصر لأن التيمم لا يرفع الحدث وقد قيل له طهور المسلم ؛ ولأن الطهارة تطلق على غير ذلك كقوله تعالى ( خذ من أموالهم صدقة تطهرهم ) وقوله صلى الله عليه وسلم " السواك مطهرة للفم " والجواب عن الأول بأن التيمم ناشئ عن حدث فلما قام مقام ما يطهر الحدث سمي طهورا . ومن يقول بأنه يرفع الحدث يمنع هذا الإيراد من أصله . والجواب عن الثاني أن ألفاظ الشرع إذا دارت بين الحقيقة اللغوية والشرعية حملت على الشرعية إلا إذا قام دليل ، ودعوى بعض المالكية أن المأمور بالغسل من ولوغه الكلب المنهي عن اتخاذه دون المأذون فيه يحتاج إلى ثبوت تقدم النهي عن اتخاذ الأمر بالغسل ، وإلى قرينة تدل على أن المراد ما لم يؤذن في اتخاذ ؛ لأن الظاهر من اللام في قوله الكلب أنها للجنس أو لتعريف الماهية فيحتاج المدعي أنها للعهد إلى دليل ، ومثله تفرقة بعضهم بين البدوي والحضري ، ودعوى بعضهم أن ذلك مخصوص بالكلب الكلب ، وأن الحكمة في الأمر بغسله من جهة الطب لأن الشارع اعتبر السبع في مواضع منه كقوله " صبوا علي من سبع قرب " ، قوله " من تصبح بسبع تمرات عجوة " . وتعقب بأن الكلب الكلب لا يقرب الماء فكيف يؤمر بالغسل من ولوغه ؟ وأجاب حفيد ابن رشد بأنه لا يقرب الماء بعد استحكام الكلب منه ، أما في ابتدائه فلا يمتنع . وهذا التعليل وإن كان فيه مناسبة لكنه يستلزم التخصيص بلا دليل والتعليل بالتنجيس أقوى لأنه في معنى المنصوص ، وقد ثبت عن ابن عباس التصريح بأن الغسل من ولوغ الكلب بأنه رجس رواه محمد بن نصر المروزي بإسناد صحيح ولم يصح عن أحد من الصحابة خلافه والمشهور عن المالكية أيضا التفرقة بين إناء الماء فيراق ويغسل وبين إناء الطعام فيؤكل ثم يغسل الإناء تعبدا لأن الأمر

بالإراقة عام فيخص الطعام منه بالنهي عن إضاعة المال ، وعورض بأن النهي عن الإضاعة مخصوص بالأمر بالإراقة ويترجح هذا الثاني بالإجماع على إراقة ما تقع فيه النجاسة من قليل المائعات ولو عظم ثمنه ، فثبت أن عموم النهي عن الإضاعة مخصوص بخلاف الأمر بالإراقة ، وإذا ثبتت نجاسة سؤره كان أعم من أن يكون لنجاسة عينه أو لنجاسة طارئة كأكل الميتة مثلا ؛ لكن الأول أرجح إذ هو الأصل ؛ ولأنه يلزم على الثاني مشاركة غيره له في الحكم كالهرة مثلا ، وإذا ثبتت نجاسة سؤره لعينه لم يدل على نجاسة باقيه إلا بطريق القياس كأن يقال : لعبه نجس ففمه نجس لأنه متحلب منه واللعب عرق فمه وفمه أطيب بدنه فيكون عرقه نجسا وإذا كان عرقه نجسا كان بدنه نجسا لأن العرق متحلب من البدن ولكن هل يلتحق باقي أعضائه بلسانه في وجوب السبع والتريب أم لا ؟ تقدمت الإشارة إلى ذلك من كلام النووي ، وأما الحنفية فلم يقولوا بوجوب السبع ولا التريب ، واعتذر الطحاوي وغيره عنهم بأمور ، منها كون أبي هريرة راويه أفتى بثلاث غسلات فثبت بذلك نسخ السبع ، وتعقب بأنه يحتمل أن يكون أفتى بذلك لاعتقاده ندبية السبع لا وجوبها أو كان نسي ما رواه ، ومع الاحتمال لا يثبت النسخ ، وأيضا فقد ثبت أنه أفتى بالغسل سبعا ورواية من روى عنه موافقة لروايته أرجح من رواية من روى عنه مخالفتها من حيث الإسناد ومن حيث النظر ، أما النظر فظاهر وأما الإسناد فالموافقة وردت من رواية حماد بن زيد عن أيوب عن ابن سيرين عنه وهذا من أصح الأسانيد ، وأما المخالفة فمن رواية عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء عنه وهو دون الأول في القوة بكثير ، ومنها أن العذرة أشد في النجاسة من سؤر الكلب ، ولم يقيد بالسبع فيكون الولوغ كذلك من باب الأولى . وأجيب بأنه لا يلزم من كونها أشد منه في الاستقذار أن لا يكون أشد منها في تغليظ الحكم ، وبأنه قياس في مقابلة النص

وهو فاسد الاعتبار . ومنها دعوى أن الأمر بذلك كان عند الأمر بقتل الكلاب ، فلما نهى عن قتلها نسخ الأمر بالغسل . وتعقب بأن الأمر بقتلها كان في أوائل الهجرة والأمر بالغسل متأخر جدا لأنه من رواية أبي هريرة وعبد الله بن مغفل ، وقد ذكر ابن مغفل أنه سمع صلى الله عليه وسلم يأمر بالغسل وكان إسلامه سنة سبع كأبي هريرة ، بل سياق مسلم ظاهر في أن الأمر بالغسل كان بعد الأمر بقتل الكلاب ، ومنها إلزام الشافعية بإيجاب ثمان غسلات عملا بظاهر حديث عبد الله بن مغفل الذي أخرجه مسلم ولفظه " فاغسلوه سبع مرات وغفروه الثامنة في التراب " وفي رواية أحمد " بالتراب " وأجيب بأنه لا يلزم من كون الشافعية لا يقولون بظاهر حديث عبد الله بن مغفل أن يتركوا هم العمل بالحديث أصلا ورأسا ؛ لأن اعتذار الشافعية عن ذلك إن كان متجها فذاك ، وإلا فكل من الفريقين ملوم في ترك العمل به ، قاله ابن دقيق العيد . وقد اعتذر بعضهم عن العمل به بالإجماع على خلافه ، وفيه نظر لأنه ثبت القول بذلك عن الحسن البصري ، وبه قال أحمد بن حنبل في رواية حرب الكرماني عنه ، ونقل عن الشافعي أنه قال : هو حديث لم أقف على صحته ؛ ولكن هذا لا يثبت العذر لمن وقف على صحته ، وجنح بعضهم إلى الترجيح لحديث أبي هريرة على حديث ابن مغفل ، والترجيح لا يصار إليه مع إمكان الجمع ، والأخذ بحديث ابن مغفل يستلزم الأخذ بحديث أبي هريرة دون العكس ، والزيادة من الثقة مقبولة . ولو سلطنا الترجيح في هذا الباب لم نقل بالترتيب أصلا لأن رواية مالك بدونها أرجح من رواية من أثبتته ، ومع ذلك فقلنا به أخذا بزيادة الثقة . وجمع بعضهم بين الحديثين بضرب من المجاز فقال : لما كان التراب جنسا غير الماء جعل اجتماعهما في المرة الواحدة معدودا باثنتين . وتعقبه ابن دقيق العيد بأن قوله " وغفروه الثامنة بالتراب " ظاهر في كونها غسلة مستقلة ، لكن لو وقع

التعفير في أوله قبل ورود الغسلات السبع كانت الغسلات ثمانية ويكون إطلاق  
الغسلة على الترتيب مجازا . وهذا الجمع من مرجحات تعيين التراب في الأولى .  
والكلام على هذا الحديث وما يتفرع منه منتشر جدا ، ويمكن أن يفرد بالتصنيف  
؛ ولكن هذا القدر كاف في هذا المختصر . والله المستعان .

## الحديث الثاني

- عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا ذَكَرَتْ عِنْدَهَا مَا يَقْطَعُ الصَّلَاةَ فَقَالُوا يَقْطَعُهَا الْكَلْبُ وَالْحِمَارُ وَالْمَرْأَةُ قَالَتْ لَقَدْ جَعَلْتُمُونَا كِلَابًا لَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي وَإِنِّي لَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ وَأَنَا مُضْطَجِعَةٌ عَلَى السَّرِيرِ فَتَكُونُ لِي الْحَاجَّةُ فَأَكْرَهُ أَنْ أَسْتَقْبِلَهُ فَأَنْسَلُ أَنْسِلًا ( رواه البخاري )

شرح الحديث :

قال الشوكاني: أحاديث الباب تدل على أن الكلب والمرأة والحصار تقطع الصلاة. والمراد بقطع الصلاة إبطالها وقد ذهب إلى ذلك جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة وأنس وابن عباس في رواية عنه. وحكى أيضاً عن أبي ذر وابن عمر ، وجاء عن ابن عمر أنه قال به الحكم بن عمرو الغفاري في الحمار ، وممن قال من التابعين بقطع الثلاثة المذكورة الحسن البصري وأبو الأحوص صاحب ابن مسعود ومن الأئمة أحمد بن حنبل في ما حكاه عنه ابن حزم الظاهري وحكى الترمذي عنه أنه يخصصه بالكلب الأسود ويتوقف في الحمار والمرأة.

قال ابن دقيق العيد وهو أجود مما دل عليه كلام الأثرم من جزم القول عن أحمد بأنه لا يقطع المرأة والحصار. وذهب أهل الظاهر أيضاً إلى قطع الصلاة بالثلاثة المذكورة إذا كان الكلب والحصار بين يديه ، سواء كان الكلب والحصار ماراً أم غير مار وصغيراً أم كبيراً حياً أم ميتاً وكون المرأة بين يدي الرجل مارة أم غير مارة صغيرة أم كبيرة ، إلا أن تكون مضطجعة معترضة ، وذهب إلى أنه يقطع الصلاة الكلب الأسود والمرأة الحائض ابن عباس وعطاء بن أبي رباح وأستدلا بالحديث السابق عند أبي داود وابن ماجه ، يعني الذي ذكرناه في ما تقدم ولا

عذر لمن يقول بحمل المطلق على المقيّد من ذلك، وهم الجمهور وأما من يعمل بالمطلق وهم الحنفية وأهل الظاهر فلا يلزمهم ذلك وقال ابن العربي . إنه لا حجة لمن قيد بالحائض لأن الحديث ضعيف قال: وليست حيضة المرأة في يدها ولا بطنها ولا رجلها قال العراقي إن أراد بضعفه ضعف رواته فليس كذلك فإن جميعهم ثقات. وإن أراد به كون الأكثرين وقفوه على ابن عباس فقد رفعه شعبة ورفع الثقة مقدم على وقف من وقفه. وإن كانوا أكثر على القول الصحيح في الأصول وعلوم الحديث انتهى.



### الحديث الثالث

- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اعْتَدِلُوا فِي السُّجُودِ وَلَا يَسْطُ أَحَدُكُمْ ذِرَاعَيْهِ انْبِسَاطَ الْكَلْبِ (رواه البخاري).

شرح الحديث :

قال الطبري: فيه أن الحق على المصلي أن يجافي عن جنبه ويعلى صدره عن الأرض، ولا يفرش ذراعيه، وذلك أنه إذا افترشهما لم يبد وضح إبطيه كما كان يبدو من رسول الله على نحو ما تقدم قبل هذا.

فإن قال قائل: فما أنت قائل فيما حدثكم به ابن سنان، عن أبي عاصم، عن ابن جريج، عن نافع، قال: كان ابن عمر يصلي فيضم يديه إلى جنبه.

قيل له: جائز لم يفعل ذلك ابن عمر إلا عند ازدحام الناس وتضايق المكان حتى لا يقدر على التجافي فيه؛ لأن المعروف عنه ما حدثنا أبو كريب: حدثنا عمر بن عبيد الطنافسي، عن آدم بن علي قال: صليت إلى جنب ابن عمر، فافترشت ذراعي، فقال لي: « لا تفرش افتراش السبع، وادعم على راحتيك، وأبد ضبعيك، فإذا فعلت ذلك سجد كل عضو منك » ، فإذا كان ابن عمر قد روى عنه الوجهان، فالحق أن يوجه كل واحد منهما إلى أولى الأمور بها، وأشبهها بالسنة، وقد تقدم في « باب يبدئ ضبعيه ويجافي في السجود » ، إلا أنه لا إعادة عند جميع العلماء على من ترك ذلك لاختلاف السلف فيه.

## الحديث الرابع

- عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
نَهَى عَنْ ثَمَنِ الْكَلْبِ وَمَهْرِ الْبَغِيِّ وَحُلْوَانِ الْكَاهِنِ ( رواه البخاري )

شرح الحديث:

قال ابن رجب الحنبلي :

ظاهر النهي تحريم بيعه ، وهو عام في كل كلب معلما كان أو غيره مما يجوز  
اقتناؤه أو لا يجوز ، ومن لازم ذلك أن لا قيمة على متلفه ، وبذلك قال الجمهور  
، وقال مالك لا يجوز بيعه وتجب القيمة على متلفه ، وعنه كالجمهور ، وعنه  
كقول أبي حنيفة يجوز وتجب القيمة ، وقال عطاء والنخعي يجوز بيع كلب  
الصيد دون غيره وروى أبو داود من حديث ابن عباس مرفوعا " نهى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم عن ثمن الكلب وقال : إن جاء يطلب ثمن الكلب فاملا  
كفه ترابا " وإسناده صحيح ، وروى أيضا بإسناد حسن عن أبي هريرة مرفوعا "   
لا يحل ثمن الكلب ولا حلوان الكاهن ولا مهر البغي " والعلة في تحريم بيعه  
عند الشافعي نجاسته مطلقا وهي قائمة في المعلم وغيره ، وعلة المنع عند من لا  
يرى نجاسته النهي عن اتخاذه والأمر بقتله ولذلك خص منه ما أذن في اتخاذه ،  
ويدل عليه حديث جابر قال " نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ثمن  
الكلب إلا كلب صيد " أخرجه النسائي بإسناد رجاله ثقات إلا أنه طعن في  
صحته ، وقد وقع في حديث ابن عمر عند ابن أبي حاتم بلفظ " نهى عن ثمن  
الكلب وإن كان ضاريا " يعني مما يصيد وسنده ضعيف ، قال أبو حاتم هو  
منكر ، وفي رواية لأحمد " نهى عن ثمن الكلب وقاله طعمة جاهلية " ونحوه

للطبراني من حديث ميمونة بنت سعد ، وقال القرطبي مشهور مذهب مالك جواز اتخاذ الكلب وكراهية بيعه ولا يفسخ إن وقع ، وكأنه لما لم يكن عنده نجسا وأذن في اتخاذه لمنافعه الجائزة كان حكمه حكم جميع المبيعات ، لكن الشرع نهى عن بيعه تنزيها لأنه ليس من مكارم الأخلاق ، قال وأما تسويته في النهي بينه وبين مهر البغي وحلوان الكاهن فمحمول على الكلب الذي لم يؤذن في اتخاذه ، وعلى تقدير العموم في كل كلب فالنهي في هذه الثلاثة في القدر المشترك من الكراهة أعم من التنزيه والتحريم ، إذ كان واحد منهما منهيًا عنه ثم تؤخذ خصوصية كل واحد منهما من دليل آخر ، فإننا عرفنا تحريم مهر البغي وحلوان الكاهن من الإجماع لا من مجرد النهي ، ولا يلزم من الاشتراك في العطف الاشتراك في جميع الوجوه إذ قد يعطف الأمر على النهي والإيجاب على النفي .

## الحديث الخامس

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ أَمْسَكَ  
كَلْبًا فَإِنَّهُ يَنْقُصُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ عَمَلِهِ قِيرَاطٌ إِلَّا كَلْبَ حَرْثٍ أَوْ مَاشِيَةٍ (رواه  
البخاري)

شرح الحديث :

قال ابن عبد البر: في هذا الحديث إباحة اتخاذ الكلاب للصيد والماشية، وكذلك  
الزراع لأنها زيادة حافظ، وكراهة اتخاذها لغير ذلك، إلا أنه يدخل في معنى  
الصيد وغيره مما ذكر اتخاذها لجلب المنافع ودفع المضار قياساً، فتمحض  
كراهة اتخاذها لغير حاجة لما فيه من ترويع الناس وامتناع دخول الملائكة  
للبيت الذي هم فيه.

## الحديث السادس

- عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ صَيْدِ الْمِعْرَاضِ قَالَ مَا أَصَابَ بِحَدِّهِ فَكُلْهُ وَمَا أَصَابَ بِعَرَضِهِ فَهُوَ وَقِيدٌ وَسَأَلْتُهُ عَنْ صَيْدِ الْكَلْبِ فَقَالَ مَا أُمْسَكَ عَلَيْكَ فَكُلْ فَإِنَّ أَخَذَ الْكَلْبُ ذَكَاةً وَإِنْ وَجَدَتْ مَعَ كَلْبِكَ أَوْ كِلَابِكَ كَلْبًا غَيْرَهُ فَخَشِيتَ أَنْ يَكُونَ أَخَذَهُ مَعَهُ وَقَدْ قَتَلَهُ فَلَا تَأْكُلْ فَإِنَّمَا ذَكَرْتَ اسْمَ اللَّهِ عَلَى كَلْبِكَ وَلَمْ تَذْكُرْهُ عَلَى غَيْرِهِ (رواه البخاري)

شرح الحديث:

قال ابن حجر في فتح الباري :

قوله: "المعراض" بكسر الميم وسكون المهملة وآخره معجمة، قال الخليل وتبعه جماعة: سهم لا ريش له ولا نصل. وقال ابن دريد وتبعه ابن سيده: سهم طويل له أربع قذذ رقاق، فإذا رمى به اعترض. وقال الخطابي: المعراض نصل عريض له ثقل ورزانة، وقيل عود رقيق الطرفين غليظ الوسط وهو المسمى بالحذافة، وقيل خشبة ثقيلة آخرها عصا محدد رأسها وقد لا يحدد؛ وقوى هذا الأخير النووي تبعا لعياض. وقال القرطبي: إنه المشهور. وقال ابن التين: المعراض عصا في طرفها حديدة يرمى الصائد بها الصيد، فما أصاب بحده فهو ذكي فيؤكل، وما أصاب بغير حده فهو وقيد. قوله: "وما أصاب بعرضه فهو وقيد" في رواية ابن أبي السفر عن الشعبي في الباب الذي يليه "بعرضه فقتل فإنه وقيد فلا تأكل" وقيد بالقاف وآخره ذال معجمة وزن عظيم، فعيل بمعنى مفعول، وهو ما قتل بعصا أو حجر أو ما لا حد له، والموقوذة تقدم تفسيرها وأنها التي تضرب بالخشبة حتى تموت. ووقع في رواية همام بن الحارث عن

عدي الآتية بعد باب "قلت إنا نرمي بالمعراض قال: كل ما خزق" وهو بفتح المعجمة والزاي بعدها قاف أي نفذ، يقال سهم خازق أي نافذ، ويقال بالسين المهملة بدل الزاي، وقيل الخزق - بالزاي وقيل تبدل سينا - الخدش ولا يثبت فيه، فإن قيل بالراء فهو أن يثقبه. وحاصله أن السهم وما في معناه إذا أصاب الصيد بحده حل وكانت تلك ذكاته، وإذا أصابه بعرضه لم يحل لأنه في معنى الخشبة الثقيلة والحجر ونحو ذلك من المثقل، وقوله: "بعرضه" بفتح العين أي بغير طرفه المحدد، وهو حجة للجمهور في التفصيل المذكور، وعن الأوزاعي وغيره من فقهاء الشام حل ذلك، وسيأتي في الباب الذي يليه إن شاء الله تعالى. قوله: "وسألته عن صيد الكلب فقال: ما أمسك عليك فكل، فإن أخذ الكلب ذكاة" في رواية ابن أبي السفر "إذا أرسلت كلبك فسميت فكل" وفي رواية بيان بن عمرو عن الشعبي الآتية بعد أبواب "إذا أرسلت كلابك المعلمة وذكرت اسم الله فكل مما أمسكن عليك" والمراد بالمعلمة التي إذا أغراها صاحبها على الصيد طلبته، وإذا زجرها انزجرت وإذا أخذت الصيد حبسته على صاحبها. وهذا الثالث مختلف في اشتراطه، واختلف متى يعلم ذلك منها فقال البغوي في "التهذيب": أقله ثلاث مرات، وعن أبي حنيفة وأحمد يكفي مرتين. وقال الرافعي: لم يقدره المعظم لاضطراب العرف واختلاف طباع الجوارح فصار المرجع إلى العرف. ووقع في رواية مجالد عن الشعبي عن عدي في هذا الحديث عند أبي داود والترمذي أما الترمذي فلفظه: "سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صيد البازي فقال: ما أمسك عليك فكل" وأما أبو داود فلفظه: "ما علمت من كلب أو باز ثم أرسلته وذكرت اسم الله فكل ما أمسك عليك. قلت: وإن قتل؟ قال: إذا قتل ولم يأكل منه" قال الترمذي: والعمل على

هذا عند أهل العلم لا يرون بصيد الباز والصقور بأساً ١٥. وفي معنى الباز الصقر والعقاب والباشق والشاهين، وقد فسر مجاهد الجوارح في الآية بالكلاب والطيور، وهو قول الجمهور إلا ما روى عن ابن عمر وابن عباس من التفرقة بين صيد الكلب والطيور. قوله: "إذ أرسلت كلابك المعلمة فإن وجدت مع كلبك كلباً غيره" في رواية بيان "وإن خالطها كلاب من غيرها فلا تأكل" وزاد في روايته بعد قوله مما أمسك عليك "وإن قتلن، إلا أن يأكل الكلب فإني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه" وفي رواية ابن أبي السفر "قلت، فإن أكل؟ قال: فلا تأكل، فإنه لم يمسك عليك إنما أمسك على نفسه"، وسيأتي بعد أبواب زيادة في رواية عاصم عن الشعبي في رمي الصيد إذا غاب عنه ووجده بعد يوم أو أكثر. وفي الحديث اشتراط التسمية عند الصيد، وقد وقع في حديث أبي ثعلبة كما سيأتي بعد أبواب "وما صدت بكلبك المعلم فذكرت اسم الله فكل" وقد أجمعوا على مشروعيتهما إلا أنهم اختلفوا في كونها شرطاً في حل الأكل فذهب الشافعي وطائفة - وهي رواية عن مالك وأحمد - أنها سنة، فمن تركها عمداً أو سهواً لم يقدح في حل الأكل. وذهب أحمد في الراجح عنه وأبو ثور وطائفة إلى أنها واجبة لجعلها شرطاً في حديث عدي، ولإيقاف الإذن في الأكل عليها في حديث أبي ثعلبة، والمعلق بالوصف ينتفي عند انتفائه عند من يقول بالمفهوم، والشرط أقوى من الوصف، ويتأكد القول بالوجوب بأن الأصل تحريم الميتة، وما أذن فيه منها تراعي صفته، فالمسمى عليها وافق الوصف وغير المسمى باق على أصل التحريم. وذهب أبو حنيفة ومالك والثوري وجماهير العلماء إلى الجواز لمن تركها ساهياً لا عمداً، لكن اختلف عن المالكية: هل تحرم أو تكره؟ وعند الحنفية تحرم، وعند الشافعية في العمد ثلاثة أوجه: أصحابها يكره الأكل، وقيل خلاف الأولى، وقيل يأنم بالترك ولا يحرم الأكل. والمشهور

عن أحمد التفرقة بين الصيد والذبيحة، فذهب في الذبيحة إلى هذا القول الثالث، وسيأتي حجة من لم يشترطه فيها في الذبائح مفصلة، وفيه إباحة الاصطياد بالكلاب المعلمة، واستثنى أحمد وإسحاق الكلب الأسود وقالوا: لا يحل الصيد به لأنه شيطان ونقل عن الحسن وإبراهيم وقتادة نحو ذلك. وفيه جواز أكل ما أمسكه الكلب بالشروط المتقدمة ولو لم يذبح لقوله: "إن أخذ الكلب ذكاة" فلو قتل الصيد بظفره أو نابيه حل، وكذا بثقله على أحد القولين للشافعي وهو الراجح عندهم، وكذا لو لم يقتله الكلب لكن تركه وبه رمق ولم يبق زمن يمكن صاحبه فيه لحاقه وذبحه فمات حل، لعموم قوله: "فإن أخذ الكلب ذكاة" وهذا في المعلم، فلو وجدته حيا حياة مستقرة وأدرك ذكاته لم يحل إلا بالتذكية، فلو لم يذبحه مع الإمكان حرم، سواء كان عدم الذبح اختيارا أو إضرارا كعدم حضور آلة الذبح، فإن كان الكلب غير معلم اشترط إدراك تذكيته، فلو أدركه ميتا لم يحل. وفيه أنه لا يحل أكل ما شاركه فيه كلب آخر في اصطياده، ومحلله ما إذا استرسل بنفسه أو أرسله من ليس من أهل الذكاة، فإن تحقق أنه أرسله من هو من أهل الذكاة حل، ثم ينظر فإن أرسلاهما معا فهو لهما وإلا فلأول، ويؤخذ ذلك من التعليل في قوله: "فإنما سميت على كلبك ولم تسم على غيره:" فإنه يفهم منه أن المرسل لو سمي على الكلب لحل. ووقع في رواية بيان عن الشعبي "وإن خالطها كلاب من غيرها فلا تأكل" فيؤخذ منه أنه لو وجدته حيا وفيه حياة مستقرة فذكاة حل، لأن الاعتماد في الإباحة على التذكية لا على إمساك الكلب. وفيه تحريم أكل الصيد الذي أكل الكلب منه ولو كان الكلب معلما، وقد علل في الحديث بالخوف من أنه "إنما أمسك على نفسه" وهذا قول الجمهور، وهو الراجح من قولي الشافعي. وقال في القديم - وهو قول مالك ونقل عن بعض الصحابة - يحل، واحتجوا بما ورد في حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده



"أن أعرابيا يقال له أبو ثعلبة قال: يا رسول الله، إن لي كلابا مكلبة، فأفتني في صيدها. قال: كل مما أمسكن عليك. قال: وإن أكل منه؟ قال: وإن أكل منه" أخرجه أبو داود. ولا بأس بسنده. وسلك الناس في الجمع بين الحديثين طرقا: منها للقائلين بالتحريم حمل حديث أبي ثعلبة: على ما إذا قتله وخلاه ثم عاد فأكل منه، ومنها الترجيح فرواية عدي في الصحيحين متفق على صحتها، ورواية أبي ثعلبة المذكورة في غير الصحيحين مختلف في تضعيفها، وأيضا فرواية عدي صريحة مقرونة بالتعليل المناسب للتحريم وهو خوف الإمساك على نفسه متأيدة بأن الأصل في الميتة التحريم، فإذا شككنا في السبب المبيح رجعنا إلى الأصل وظاهر القرآن أيضا وهو قوله تعالى: {فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ} فإن مقتضاها أن الذي يمسكه من غير إرسال لا يباح، ويتقوى أيضا بالشاهد من حديث ابن عباس عند أحمد "إذا أرسلت الكلب فأكل الصيد فلا تأكل، فإنما أمسك على نفسه. وإذا أرسلته فقتل ولم يأكل فكل، فإنما أمسك على صاحبه" وأخرجه البزار من وجه آخر عن ابن عباس وابن أبي شبة من حديث أبي رافع بمعناه، ولو كان مجرد الإمساك كافيا لما احتيج إلى زيادة {عَلَيْكُمْ}. ومنها للقائلين بالإباحة حمل حديث عدي على كراهة التنزيه، وحديث أبي ثعلبة على بيان الجواز. قال بعضهم: ومناسبة ذلك أن عديا كان موسرا فاختر له الحمل على الأولى، بخلاف أبي ثعلبة فإنه كان بعكسه. ولا يخفى ضعف هذا التمسك مع التصريح بالتعليل في الحديث بخوف الإمساك على نفسه. وقال ابن التين: قال بعض أصحابنا هو عام فيحمل على الذي أدركه ميتا من شدة العدو أو من الصدمة فأكل منه، لأنه صار على صفة لا يتعلق بها الإرسال ولا الإمساك على صاحبه، قال: ويحتمل أن يكون معنى قوله: "فإن أكل فلا تأكل أي لا يوجد منه غير مجرد الأكل دون إرسال الصائد له، وتكون هذه الجملة مقطوعة عما قبلها.

ولا يخفى تعسف هذا وبعده. وقال ابن القصار: مجرد إرسالنا الكلب إمساك علينا، لأن الكلب لا نية له ولا يصح منه ميزها، وإنما يتصيد بالتعليم؛ فإذا كان الاعتبار بأن يمسك علينا أو على نفسه واختلف الحكم في ذلك وجب أن يتميز ذلك بنية من له نية وهو مرسله، فإذا أرسله فقد أمسك عليه وإذا لم يرسله لم يمسك عليه، كذا قال: ولا يخفى بعده أيضا ومصادمته لسياق الحديث. وقد قال الجمهور: إن معنى قوله: " {أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ} صدن لكم، وقد جعل الشارع أكله منه علامة على أنه أمسك لنفسه لا لصاحبه فلا يعدل عن ذلك، وقد وقع في رواية لابن أبي شيبة: "إن شرب من دمه فلا تأكل فإنه لم يعلم ما علمته" وفي هذا إشارة إلى أنه إذا شرع في أكله دل على أنه ليس بمعلم التعليم المشترط. وسلك بعض المالكية الترجيح فقال: هذه اللفظة ذكرها الشعبي ولم يذكرها همام، وعارضها حديث أبي ثعلبة، وهذا ترجيح مردود لما تقدم. وتمسك بعضهم بالإجماع على جواز أكله إذا أخذه الكلب بفيه وهم بأكله فأدرك قبل أن يأكل، قال فلو كان أكله منه دالا على أنه أمسك على نفسه لكان تناوله بفيه وشروعه في أكله كذلك، ولكن يشترط أن يقف الصائد حتى ينظر هل يأكل أو لا والله أعلم. وفيه إباحة الاصطياد للانتفاع بالصيد للأكل والبيع وكذا اللهو، بشرط قصد التذكية والانتفاع، وكرهه مالك، وخالفه الجمهور. قال الليث: لا أعلم حقا أشبهه بباطل منه، فلو لم يقصد الانتفاع به حرم لأنه من الفساد في الأرض بإتلاف نفس عبثا. وينقدح أن يقال: يباح، فإن لازمه وأكثر منه كره، لأنه قد يشغله عن بعض الواجبات وكثير من المندوبات. وأخرج الترمذي من حديث ابن عباس رفعه: "من سكن البادية جفا، ومن اتبع الصيد غفل" وله شاهد عن أبي هريرة عند الترمذي أيضا وآخر عند الدار قطني في "الأفراد" من حديث البراء بن عازب وقال: تفرد به شريك.

## خواص الكلب

لحمه يعلو شحمه، بخلاف لحم الشاة، فإن شحمها يعلو لحمها، فإذا ارتضعت الشاة من كلبة كان لحمها على صفة لحم الكلاب، وفي ذلك قصة شهيرة لربيعة ومضر وأنمار وإياد، تقدمت في باب الهمزة في الأفعى.

قال السهيلي: وفي الحديث " لا تسبوا ربيعة ومضر، فإنها كانا مؤمنين ". قال: وإنما سمي ربيعة الفرس لأنه أعطي من ميراث أبيه الخيل، وأعطي أخوه الذهب، فسمي مضر الحمراء. ولا تقول العرب إلا ربيعة ومضر ولا يقولون مضر وربيعه أصلاً.

ومن خواص الكلب العجيبة، أنه لا يلغ في دم مسلم. قال القاضي عياض، في الشفاء: أفتى فقهاء القيروان وأصحاب سحنون بقتل إبراهيم الفزاري، وكان شاعراً ماهراً متفنناً في كثير من العلوم، وكان يحضر مجلس القاضي أبي العباس بن أبي طالب، طلباً للمناظرة فضبطت عليه أمور منكرة من الاستهزاء بالله تعالى والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فقتل ثم صلب منكساً، وأنزل وأحرق بالنار، ولما رفعت خشبته وزالت عنها الأيدي، استدارت وتحولت عن القبلة، وجاء كلب فولغ في دمه. فقال يحيى بن عمر: صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه قال: " لا يلغ الكلب في دم مسلم ".

وإذا قطع لسان كلب أسود، وأخذه إنسان في يده، لم تنبح عليه الكلاب، وإن أخذت قرادة من أذن كلب، وأمسكها إنسان في يده خضعت له الكلاب كلها حتى ذلك الكلب المأخوذة منه. وإن علقت أسنانه على صبي، خرجت أسنانه من غير تعب، وأنيابه إذا علقت على من به عضه الكلب الكلب سكن عنه وجعها، وإذا علقت على من به اليرقان الظاهر نفعه، وإن حمل إنسان معه ناب الكلب لم تنبحه الكلاب. وذكره إذا جفف وعلق على الفخذ هيج الباه. ومن

كان يلقي من القولنج شدة، فليقم كلباً نائماً وليبل في مكانه، فإنه يزول عنه من وقته ويموت الكلب. ونابه إذا علق على من يتكلم في نومه سكن، ولبن الكلبة إذا طلي به الشعر حلقه، وإن شرب بالماء سكن من وقته السعالي. وبوله إذا طلي به على الثآليل قلعتها، وقراده إذا نقع في نبيذ وشربه شارب سكر من وقته. وشعر الكلب الأسود البهيم، إذا علق على المصروع نفعه، ومن كان عنده عبد أبى وأحب أن لا يأتى، فليأخذ جرو كلب صغيراً فيحرقه ثم يسحقه بزيت، ويطلي به رأسه فإنه لا يأتى، مجرب، قاله القزويني وغيره. ولبن الكلبة إذا شرب نفع من السموم القاتلة، ويخرج الأجنة والمشيمة، ومن اكتحل بلبن كلبة سهر ليله كله. وزبله إذا سحق وعجن بماء الكزبرة، وطلبي به الأورام الحادة نفعها بإذن الله تعالى.

وذكر القزويني، في عجائب المخلوقات، أن بقرية من أعمال حلب بئراً، يقال لها بئر الكلب، إذا شرب منها من عضه الكلب برئ، وهي مشهورة. قال: وقد أخبرني بعض أهل القرية، أن المكلوب إذا لم يجاوز أربعين يوماً، وشرب منها برئ أما إذا جاوز الأربعين فإنه يموت ولو شرب منها. وذكر أنه شاهد ثلاثة أنفس مكلوبين، شربوا منها فسلم اثنان، وكانا لم يبلغا الأربعين، ومات الثالث وكان قد جاوز الأربعين. وهذه البئر يشرب منها أهل الضيعة.

وكان للحارث بن صعصعة ندماء لا يفارقهم، وكان شديد المحبة لهم، فخرج في بعض منتزهاته، ومعه ندماءؤه فتخلف منهم واحد، فدخل على زوجته، فأكلا وشربا ثم اضطجعا، فوثب الكلب عليهما فقتلهما. فلما رجع الحارث إلى منزله وجدهما قتيلين. فعرف الأمر فأشأ يقول:

وما زال يرعى ذمتي ويحوطني ... ويحفظ عرسي والخليل يخون

فيا عجباً للخل يهتك حرمتي ... ويا عجباً للكلب كيف يصون

وذكر الإمام أبو الفرج بن الجوزي في بعض مصنفاته<sup>(١)</sup>، أن رجلاً خرج في بعض أسفاره فمر على قبة مبنية أحسن بناءً، بالقرب من ضيعة هناك، وعليها مكتوب: من أحب أن يعلم سبب بنائها، فليدخل القرية. فدخل القرية، وسأل أهلها عن سبب بناء القبة، فلم يجد عند أحد خبراً من ذلك، إلى أن دل على رجل قد بلغ من العمر مائتي سنة، فسأله فأخبره عن أبيه أنه حدثه أن ملكاً كان بتلك الأرض، وكان له كلب لا يفارقه في سفر ولا حضر، ولا نوم ولا يقظة، وكانت له جارية خرساء مقعدة، فخرج ذات يوم إلى بعض منتزهاته وأمر بربط الكلب لئلا يذهب معه، وأمر طبأخه أن يصنع له طعاماً من اللبن كان يهواه، وأن الطبأخ صنعه وجاء به فوضعه عند الجارية والكلب وتركه مكشوفاً، وذهب فأقبلت حية عظيمة إلى الإناء، فشربت من ذلك الطعام وردته وذهبت.

ثم أقبل الملك من منتزهه، وأمر بالطعام فوضع بين يديه، فجعلت الجارية تصفق بيديها، وتشير إلى الملك أن لا يأكله فلم يعلم أحد ما تريد، فوضع الملك يده في الصفحة، وجعل الكلب يعوي ويصيح، ويجذب نفسه من السلسلة، حتى كاد أن يقتل نفسه، فتعجب الملك من ذلك وأمر بإطلاقه فأطلق فغدا إلى الملك وقد رفع يده باللقمة إلى فيه فوثب الكلب وضربه على يده فأطار اللقمة منها فغضب الملك، وأخذ خنجراً كان بجنبه، وهم أن يضرب به الكلب، فأدخل الكلب رأسه في الإناء، وولغ من ذلك الطعام، فانقلب على جنبه وقد تناثر لحمه. فعجب الملك ثم التفت إلى الجارية، فأشارت إليه بما كان من أمر الحية. ففهم الملك الأمر وأمر بإراقة الطعام، وتأديب الطبأخ على كونه ترك الإناء مكشوفاً، وأمر بدفن الكلب وبيضاء القبة عليه، وبذلك الكتابة التي رأيتها. قال: وهي من أغرب ما يحكى.

وفي كتاب النشوان عن أبي عثمان المديني، أنه قال: كان في بغداد رجل يلعب بالكلاب، فتركه ومشى حتى انتهى إلى قوم كان بينه وبينهم عداوة، فصادفوه بغير عدة فقبضوا عليه، والكلب يراهم، فأدخلوه الدار ودخل الكلب معهم فقتلوا الرجل وألقوه في بئر وطموا رأس البئر، وضربوا الكلب، فأخرجوه

(١) الأذكياء ص ١٠٩، وانظر: فضل الكلاب لابن المرزباني ص ٢١

وطردوه، فخرج يسعى إلى بيت صاحبه فعوى فلم يعبأوا به، وافتقدت أم الرجل ابنها، وعلمت أنه قد تلف، فأقامت عليه المأتم وطردت الكلاب عن بابها، فلزم ذلك الكلب الباب ولم ينطرد فاجتاز يوماً بعض قتلة صاحبه بالباب، والكلب رابض، فلما رآه وثب عليه، فخمش ساقه ونهشه وتعلق به، واجتهد المجتازون في تخليصه منه، فلم يمكنهم، وارتفعت للناس ضجة عظيمة، وجاء حارس الحرب وقال: لم يتعلق هذا الكلب بالرجل إلا وله معه قصة؟ ولعله هو الذي جرحه.

وسمعت أم القتيل الكلام فخرجت فحين رأت الكلب متعلقاً بالرجل، تأملت في الرجل، فتذكرت أنه كان أحد أعداء ابنها وممن يتطلبه، فوقع في نفسها أنه قاتل ابنها، فتعلقت به فرفعوهما إلى أمير المؤمنين الراضي بالله، فادعت عليه القتل، فأمر بحبسه بعد أن ضربه فلم يقر، فلزم الكلب باب الحبس، فلما كان بعد أيام أمر الراضي بإطلاقه، فلما خرج من باب الحبس، تعلق به الكلب كما فعل أولاً، فتعجب الناس من ذلك وجهدوا على خلاصه منه، فلم يقدرُوا على ذلك إلا بعد جهد جهيد، فأخبر الراضي بذلك فأمر بعض غلمانِه أن يطلق الرجل، ويرسل الكلب خلفه ويتبعه فإذا دخل الرجل داره بادره، وأدخل الكلب معه فمهما رأى الكلب يعمل يعلمه بذلك، ففعل ما أمره به، فلما دخل الرجل داره بادره غلام الخليفة ودخل وأدخل الكلب معه، ففتش البيت فلم ير أثراً ولا خبراً وأقبل الكلب ينبج، ويبحث عن موضع البئر التي طرح فيها القتيل، فتعجب الغلام من ذلك، وأخبر الراضي بأمر الكلب، فأمر بنبش البئر فنبشوها، فوجدوا الرجل قتيلاً، فأخذوا صاحب الدار إلى بين يدي الراضي، فأمر بضربه فأقر على نفسه، وعلى جماعته بالقتل. فقتل وطلب الباقون فهربوا.

وفي عجائب المخلوقات، أن شخصاً قتل شخصاً بأصبهان وألقاه في بئر، وللمقتول كلب يرى ذلك، فكان يأتي كل يوم إلى رأس البئر، وينحي التراب عنه، ويشير إليها، وإذا رأى القاتل نبج عليه، فلما تكرر ذلك منه حفروا البئر، فوجدوا القتيل بها، ثم أخذوا الرجل وقرروه فأقر فقتلوه به.

وفي الإحياء<sup>(١)</sup>، عن بعض الصوفية، قال: كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا إلى باب الجهاد فتبعنا كلب من البلد، فلما بلغنا باب الجهاد، وإذا نحن بدابة ميتة فصعدنا إلى موضع خال فقعدنا، فلما نظر الكلب إلى الميتة، رجع إلى البلد، ثم عاد ومعه نحو من عشرين كلباً، فجاء إلى تلك الميتة وقعد ناحية، ووقعت الكلاب في الميتة، فما زالت تأكل إلى أن شبعت، وذلك الكلب قاعد ينظر إلى الميتة، حتى أكلت وبقيت العظام، فلما رجعت الكلاب إلى البلد، قام ذلك الكلب إلى العظام فأكل ما بقي عليها من اللحم ثم انصرف.

وفي الميزان للذهبي<sup>(٢)</sup>، في ترجمة أحمد بن زرارة المدني بسند مظلم، عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " كيف أنتم إذا كان زمن يكون الأمير فيه كالأسد، والحاكم فيه كالذئب الأمعط، والتاجر فيه كالكلب الهرار، والمؤمن بينهم كالشاة الولهاء بين الغنم ليس لها مأوى، فكيف حال شاة بين أسد وذئب وكلب! ".

وفي أمالي أبي بكر القطيعي، عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بنا كلب فما بلغت يده رجله حتى مات. فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته، قال: " من الداعي على هذا الكلب آنفاً؟ " فقال رجل من القوم: أنا يا رسول الله. فقال: " ما قلت؟ " قال: قلت: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام اكفني هذا الكلب بما شئت. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى " والحديث في السنن الأربعة وفي مسند الإمام أحمد وكتابي الحاكم وابن حبان بغير قصة الكلب.

وأفاد الطبراني، من حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، أن هذه الصلاة كانت صلاة العصر يوم الجمعة، وأن الرجل المذكور الداعي على هذا الكلب سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: " يا

(١) ٢٥٨/٣

(٢) ترجمة رقم (٣٧٩)

سعد لقد دعوت في يوم وساعة بكلمات، لو دعوت بهن على من في السموات والأرض استجيب لك فأبشر يا سعد " .

وروى الإمام أحمد في الزهد، عن جعفر بن سليمان، قال: رأيت مع مالك بن دينار رضي الله تعالى عنه كلباً فقلت: ما تصنع بهذا يا أبا يحيى؟ فقال: هذا خير من جليس السوء! وفي مناقب الإمام أحمد، أنه بلغه أن رجلاً من وراء النهر عنده أحاديث ثلاثية، فرحل الإمام أحمد إليه، فوجد شيخاً يطعم كلباً، فسلم عليه فرد عليه السلام، ثم اشتغل الشيخ بإطعام الكلب، فوجد الإمام في نفسه إذ أقبل الشيخ على الكلب ولم يقبل عليه، فلما فرغ الشيخ من طعمة الكلب، التفت إلى الإمام أحمد، وقال له: كأنك وجدت في نفسك، إذ أقبلت على الكلب ولم أقبل عليك؟ قال: نعم. فقال الشيخ: حدثني أبو الزناد، عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله منه رجاءه يوم القيامة فلم يلج الجنة " . وأرضنا هذه ليست بأرض كلاب، وقد قصدني هذا الكلب، فخفت أن أقطع رجاءه فيقطع الله رجائي منه يوم القيامة. فقال الإمام أحمد: هذا الحديث يكفيني ثم رجع.

ويقرب من هذا ما في رسالة القشيري، في باب الجود والسخاء، أن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما، خرج إلى ضيعة له، فنزل على نخيل قوم، وفيها غلام أسود يعمل فيها، إذ أتى الغلام بغدائه، وهي ثلاثة أقراص، فرمى بقرص منها إلى كلب كان هناك فأكله، ثم رمى إليه الثاني فأكله والثالث فأكله، وعبد الله بن جعفر ينظر، فقال: يا غلام كم قوتك كل يوم؟ قال: ما رأيت. قال: فلم أثرت هذا الكلب؟ فقال: إن هذه الأرض ليست بأرض كلاب، وإنه جاء من مسافة بعيدة جائعاً، فكرهت رده! فقال له عبد الله: فما أنت صانع اليوم؟ قال: أطوي يومي هذا. فقال عبد الله بن جعفر لأصحابه: ألام على السخاء وهذا أسخى مني؟ ثم اشترى الغلام وأعتقه، واشترى الحائط وما فيه ووهب ذلك له<sup>(١)</sup>.

في كتاب البشر بخير البشر، عن مالك بن نفيح أنه قال: ند بعير لي، فركبت نجيبة لي وطلبته حتى ظفرت به، فأخذته وانكفأت راجعاً إلى أهلي، فأسريت

(١) سراج الملوك ص ١٨٦



ليأتي حتى كدت أصبح، فأنخت النجبية والبعير وعقلتھما، واضطجعت في ذرا كتيب رمل، فلما كحلني الوسن، سمعت هاتفاً يقول: يا مالك يا مالك، لو فحصت عن مبرك القعود البارک، لسرك ما هنا لك، قال: فثرت وأثرت البعير عن مبركه، وحفرت فعثرت على صنم في صورة امرأة من صفاة صفراء كالورس، مجلواً كالمرآة، فأخرجته ومسحته بثوبي ونصبته قائماً فما تماكنت أن خررت له ساجداً. ثم قمت فنحرت البعير له ورششته بدمه، وسميته غلاباً ثم حملته على النجبية، وأتيت به أهلي، فحسدني عليه كثير من قومي، وسألوني نصبه لهم ليعبدوه معي، فأبيت عليهم وانفردت لعبادته، وجعلت على نفسي كل يوم عتيرة، وكانت لي ثلة من الضأن، فأتيت على آخرها، فأصبحت يوماً وليس لي ما أعتره، وكرهت الاخلال بنذري، فأتيته فشكوت إليه ذلك فإذا هاتف من جوفه يقول: يا مال يا مال، لا تأس على مال، سر إلى طوى الأرقم، فخذ الكلب الأسحم، الوالغ في الدم ثم صد به تغنم. قال مالك: فخرجت من فوري إلى طوى الأرقم، فإذا كلب أسحم هائل المنظر، قد وثب على قرهب، يعني ثوراً وحشياً، فصرعه وأنا أنظر إليه، ثم بقر بطنه وجعل يلغ في دمه فتهيته، ثم تجاسرت فتقدمت عليه وهو مقبل على عقيرته، لم يلتفت إلي فشددت في عنقه حبلاً، ثم جذبته فتبعني فأتيت راحلتي فأثرتها وقدها، إلى القرهب وأنختها فجررته وحملته عليها، ثم قدها وسرت قاصداً إلى الحي والكلب يلوذ بي، فعنت لي ظبية فجعل الكلب يثب ويجاذبني الجبل، فترددت في إرساله ثم أرسلته، فمر كالسهم حتى اختطفها، فأتيته فجاذبته إياها، فأرسلها من يديه، فاستقر بي السرور، وأتيت إلى أهلي فعترت الظبية لغلاب، ووزعت لحم القرهب وبت بخير ليلة.

ثم باكرت به الصيد، فلم يفته حمار ولا ماطلة ثور، ولا اعتصم منه وعل، ولا أعجزه ظبي، فتضاعف سروري به، وبالغت في إكرامه وسميته سحاماً. فلبثت كذلك ما شاء الله. فإني لذات يوم أصيد به، إذ بصرت بنعمة على أدحيها، وهي قرية مني فأرسلته عليها فأجفلت أمامه، وأتبعته على فرس جواد، فلما كاد الكلب أن يثب عليها، انقضت عليه عقاب من الجو، فكر راجعاً نحوي، فصحت به فما كذب، وأمسكت الفرس فجاء سحام حتى دخل بين قوائمها،

ونزلت العقاب أمامي على شجرة، وقالت: سحام! قال الكلب: لبيك. قالت: هلكت الأصنام، وظهر الإسلام، فأسلم تنج بسلام، وإلا فليست بدار مقام. ثم طارت العقاب وتبصرت سحاماً فلم أره وكان آخر عهدي به.<sup>(١)</sup>

دخل أبو العلاء المعري يوماً على الشريف المرتضى فعثر برجل، فقال له الرجل: من هذا الكلب؟ فقال أبو العلاء: الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً. فقربه المرتضى واختبره فوجده علامة. ثم جرى ذكر المتنبي يوماً فتنقصه الشريف المرتضى وذكر معايبه، فقال المعري: لو لم يكن للمتنبي من الشعر إلا قوله:

لك يا منازل في القلوب منازل كلب يمو

لكفاه فضلاً وشرفاً، فغضب الشريف المرتضى وأمر بسحبه برجله وإخراجه من المسجد، ثم قال لمن يحضر مجلسه: تدرّون أي شيء أراد هذا الأعمى بذكر هذه القصيدة وللمتنبي أجود منها ولم يذكره؟ قالوا: لا. قال: إنما أراد أن يذمّني بقوله فيها:

وإذا أتت مذمتي من ناقص... فهي الشهادة لي بأني كامل

وسئل شيخ الإسلام تقي الدين بن دقيق العيد عن أبي العلاء المعري، فقال: هو في حيرة. وهذا أحسن ما قيل فيه.<sup>(٢)</sup>

دخل أبو بكر الخالدي على الخليفة، فأنشده قصيدة امتدحه بها فأجازه، وكان بين يديه صحن يشم أزرق، فلمحه أبو بكر فأعطاه الخليفة إياه فخرج من عنده وهو مسرور، فمر على أبي الفتح بن خالويه فهناه أبو الفتح بذلك، فلما أصبح جاء إلى الخدمة، فقال له الخليفة: كيف حالك وكيف كان مبيتك؟ قال: بخير ودعا له، وقال: بتنا ندعوا لمولانا أمير المؤمنين، وبت أنفنن في الصحن

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب (٧٨/٥)

(٢) الوافي بالوفيات (٤٠٧/٢)

وأتملى بحسنه، فأضفته إلى صدقات مولانا ورفده، وكل خير عندنا من عنده،  
فتنمر أمير المؤمنين، واستشاط غضباً وزجره، فخرج من عنده حزيناً كئيباً،  
فمر على ابن خالويه فسأله عن السبب وما الخبر فأخبره بما قال، فقال له أبو  
الفتح: أو قلتها. فقال: نعم. فقال: أين أنت؟ أتجعل أمير المؤمنين كلباً أين  
ذهب عقلك؟ أو ما سمعت قول أبي نواس في طريدته:

فكل خير عندهم من عنده ... وكل رفد نالهم من رفده

فكاد الخالدي أن يموت فزعاً ثم قال له: عرفني كيف المخلص؟ قال:  
تمرض مدة ثم أظهر أنك شفيت ثم تأتي أمير المؤمنين، فإذا سألك عن سبب  
مرضك، فقل له: طالعت طريدة أبي نواس، فلما فعل ذلك رضي عنه أمير  
المؤمنين.<sup>(١)</sup>

مات على قبر صاحبه

و ذكر بعض الرواة، قال: كان للربيع بن بدر، كلب قد رباه، فلما مات  
الربيع، و دفن، جعل الكلب يتضرب على قبره حتى مات.

و كان لعامر بن عنترة كلاب صيد و ماشية، و كان يحسن صحبتها، فلما  
مات عامر، لزم الكلاب قبره، حتى ماتت عنده، و تفرق عنه الأهل و  
الأقارب.<sup>(٢)</sup>

وفاء الكلب، و غدر أبي سماعة

كان للأعمش كلب يتبعه في الطريق إذا مشى، حتى يرجع، فقليل له في ذلك،  
فقال: رأيت صبياناً يضربونه، ففرقت بينهم وبينه، فعرف لي ذلك فشكره، فإذا  
رآني يبصص لي، و يتبعني.<sup>(٣)</sup>

(١) حياة الحيوان الكبرى : باب الكاف (١٤١/٢)

(٢) فضل الكلاب ص ١٤

(٣) السابق ص ١٤

## كلب يرج صاحبه من حفرة دفن فيها حيًّا

أنبأنا الفقيه أبو موسى عيسى بن أبي عيسى القاسمي ، قال: أنبأنا أبو القاسم علي بن المحسن بن علي التنوخي قراءة عليه، قال: حدثنا أبو عمر محمد بن العباس بن محمد بن زكريا بن حيويه الخزاز ، أن أبا بكر محمد بن خلف بن المرزبان ، أخبرهم، قال: أنشدني أبو عبيدة ، لبعض الشعراء:

يعرج عنه جاره و شقيقه ... و يرغب فيه كلبه و هو ضاربه

قال أبو عبيدة: قيل هذا الشعر، في رجل من أهل البصرة خرج إلى الجبانة ينتظر ركابه، فاتبعه كلب له فطرده، و ضربه، و كره أن يتبعه، و رماه بحجر فأدماه، فأبى الكلب إلا أن يتبعه.

فلما صار إلى الموقع، وثب به قوم، كانت لهم عنده طائلة ، و كان معه جار له، و أخ، فهربا عنه، و تركاه و أسلماه، فجرح جراحات كثيرة، و رمي به في بئر، و حثوا عليه التراب، حتى واروه، و لم يشكوا في موته، و الكلب مه هذا يهر عليهم ، و هم يرمونه.

فلما انصرفوا، أتى الكلب إلى رأس البئر، فلم يزل يعوي، و يبحث في التراب بمخالبه، حتى ظهر رأس صاحبه و فيه نفس يتردد، و قد كان أشرف على التلف، و لم يبق فيه، إلا حشاشة نفسه، و وصل إليه الروح.

فبينما هو كذلك، إذ مر أناس، فأنكروا مكان الكلب، و رأوه كأنه يحفر قبراً، فجاءوا، فإذا هم بالرجل على تلك الحال، فاستخرجوه حيًّا و حملوه إلى أهله.

فزعم أبو عبيدة، أن ذلك الموضع، يدعى: بئر الكلب.<sup>(١)</sup>

كلب خلص صاحبه من موت محقق

(١) السابق ص ٢٠

حدثني عبد الله بن محمد الكاتب، قال: حدثني أبي، عن محمد بن خلاد، قال: قدم رجل على بعض السلاطين، و كان معه حاكم أرمينية، منصرفاً إلى منزله، فمر في طريقه بمقبرة، فإذا قبر عليه قبة مبنية، مكتوب عليها: هذا قبر الكلب، فمن أحب أن يعلم خبره، فليمض إلى قرية كذا و كذا، فإن فيها من يخبره.

فسأل الرجل عن القرية، فدلوه عليها، فقصدها، و سأل أهلها، فدلوه على شيخ، فبعث إليه، و أحضره، و إذا شيخ قد جاوز المائة سنة، فسأله، فقال: نعم، كان في هذه الناحية ملك عظيم الشأن، و كان مستهتراً بالنزهة و الصيد و السفر، و كان له كلب قد رباه، و سماه باسم، و كان لا يفارقه حيث كان، فإذا كان وقت غدائه و عشائه، أطعمه مما يأكل.

فخرج يوماً إلى بعض متنزهاته، و قال لبعض غلمانه: قل للطباخ، يصلح لنا ثريدة لبن، فقد اشتيتها، فأصلحوها، و مضى إلى متنزهاته.

فوجه الطباخ، فجاء بلبن، و صنع له ثريدة عظيمة، و نسي أن يغطيها بشيء، و اشتغل بطبخ شيء آخر.

فخرج من بعض شقوق الحيطان أفعى، فكرع من ذلك اللبن، و مچ في الثريدة من سمه، و الكلب رابض، برئ ذلك كله، و لو كان له في الأفعى حيلة لمنعها، و لكن لا حيلة للكلب في الأفعى و الحية، و كان عند الملك جارية خرساء، زمنة، قد رأت ما صنع الأفعى.

ووافى الملك من الصيد في آخر النهار، فقال: يا غلمان، أول ما تقدموان إلي الثريدة.

فلما قدموها بين يديه، أومأت الخرساء إليهم، فلم يفهموا ما تقول، و نبح الكلب و صاح، فلم يلتفتوا إليه، و ألح في الصياح ليعلمهم مراده فيه.

ثم رمى إليه بما كان يرمى إليه في كل يوم، فلم يقربه، و لج في الصياح.

فقال لغلمانه: نحوه عنا، فإن له قصة، و مد يده إلى اللبن.

فلما رآه الكلب، يريد أ، يأكل، وثب إلى وسط المائدة، و أدخل فمه في اللبن و كرع منه، فسقط ميتاً، و تناثر لحمه.

و بقي الملك متعجباً منه و من فعله، فأومأت الخرساء إليهم، فعرفوا مرادها، و ما صنع الكلب.

فقال الملك لندمائيه و حاشيته: إن كلباً قد فداني بنفسه، لحقيق بالمكافأة، و ما يحمله و يدفنه غيري، و دفنه بين أبيه و أمه، و بنى عليه قبة، و كتب عليها ما قرأت، و هذا ما كان من خبره <sup>(١)</sup>.

---

(١) الأذكياء ص ١٠٩ ، ثمرات الأوراق ص ٥٥

## طبائع الكلب<sup>(١)</sup>

قال المتكلمون في طبائع الحيوان الكلب لا سبع ولا بهيمة تامة حتى كأنه من الخلق المركب، لأنه لو تم له طباع السبعية ما ألف واستوحش في البراري، وجانب القفار، ولو تم له معنى البهيمية في الطبع ما أكل لحم الحيوان وكلب على الناس، وإنما جعلناه تبعاً للفهد، وهذه حاله لمشاركته له في حرفة الصيد، واعتناء الناس بتربيته، وتعليمه، كما اعتنوا بالفهد في ذلك وهو نوعان أهلي وسلوقي، وكلاهما في الطبائع سواء، وفي طبائع الكلب أنه يحلم ويحتلم، وتحيض إنثاه في كل سبعة أيام وعلامة ذلك ورم اثفارها والأنثى تحمل ستين يوماً، ومنها ما تحمل خمس السنة، ومنها ما تحمل ربعها وما ولدته قبل الستين لا يعيش، وتضع جراحها عمياً، ولا تفتح عينها إلا بعد اثني عشر يوماً، ويظهر لبنها بعد حملها بثلاثين يوماً، والذكور تهيج قبل الإناث وهي تنزوي إذا مضى عليها سنة، وربما عرض لها ذلك إذا تمت لها ثمانية أشهر وإذا وضعت الأنثى ينزى عليها بعد ستة أشهر وتحمل إلى تمام عشرين سنة ويسفدها كلب أبيض وكلب أسود، وكلب أبقع، وكلب أصفر، فتؤدي إلى كل سافد منها شبهه وشكله، وفي الكلب من الاهتداء إلى الأثر وشم الروائح لغيره ولهذا تراه أبداً يشمم ويتروح ولو كانت الأرض ذوية جرداء، وهذا من شدة الحرص والجشع، ومن جشعه أنه لا يرمي بحجر إلا رجع إليه وعض عليه لما كان لا يأكل إلا شيئاً رمي به إليه صار يتوهم، لفرط شهوته أن الرامي لم يرد عقره وقتله، وإنما أراد إطعامه والإحسان إليه، والجيفة أحب إليه من اللحم الغريض، وهو يأكل العذرة ويرجع في قيئه، ويشغر ببوله، وبينه وبين الضبع عداوة شديدة وذلك أنه إذا كان في مكان مرتفع ووطئت الضبع ظله في القمر رمى نفسه إليها مخذولاً فاكلته، والظريف في ذلك أن الإنسان متى حمل لسان ضبع لم سنبج عليه كلب، ومتى دهن كلب بشحمها جن واختلط وفي طبعه أنه يحرس ربه ويحمي حريمه شاهداً، وغائباً، وذاكراً وغافلاً، ونائماً ويقضانا، وهو أيقظ الحيوان عينا في وقت

(١) انظر : مباهج الفكر ومناهج العبر ( فصل : القول في طبائع الكلب )

حاجته إلى النوم، وإنما نومه نهاراً عند استغنائهم عن حراسته، وهو في نومه أسمع من فرس، وأحذر من عقق، وهو إذا نام كسر أجفان عينيه ولا يطبقهما وذلك من خفة نومه، وسبب خفته أن دماغه بارد بالنسبة إلى دماغ الإنسان ومن عجيب حاله أنه يكرم الجلة من الناس، وأهل الوجاهة، فلا ينبح على أحد منهم وربما حاد عن طريقه، وينبح على الأسود، والوسخ الثوب، والصغير الحال، ومن طباعه البصبصة والترضي والبشاشة، والتودد، والألف، بحيث إذا دعي بعد الضرب والطرْد رجع وليس شيء عنده أثر من أن ينظر إليه صاحبه بوجه طلق، وتمكنه من ملاعبته وهو لا يلاعب كلباً ما دام ربه يلاعبه، وفي ملاعبته له يعضه العض الذي لا يؤثر ولا يؤلم، وهي الأضراس التي لو نشبها في الحجر لنشبت وقد وصف بأنه أشد الحيوان فكاً وأرهفها حدا يرى العظم المدبج، فيعلم بالطبع والغريزة أنه إذا عضه رضه وإذا ابتلعه استمرأه، وفي طبعه أنه يأكل للقتاعة لا للشبع، والشبعة الواحدة تؤثر في جسمه، وفي نومه، ومن عاداته إذا طرح له الطعام أكل منه نهيمته، فإن فضل عنه شيء خبأه بحيث يأمن ليجده إذا احتاج إليه وإذا طرح إليه الشيء وهو شبعان احتمله حتى يحوزه لوقت ضرورة ولقد حكى بعض الكبراء أنه بالدرب الذي يسكن فيه كلبة ولدت أجراء كثيرة، فذهبوا موتاً واحداً بعد واحد، وبقي معها واحد، فدخلت يوماً بيت بعض جيرانه، فأخذت منه رغيفاً، فأغلق بابه وعاقبها حتى ألجأها إلى طاقة في البيت على الطريق فرمت بنفسها منها فماتت، فكننت أشفق على الجرو لصغره وكيسه فأطعمه، وأسقيه لعجزه عن الاكتساب فدخل يوماً الدرب كلب كبير ظن الجرو أنه أمه فبادر إليه وتعلق به، ودار حوله فرأيت الكلب قد قاء له شيئاً من فيه وانصرف، فأكله الجرو مكانه، عندما حن بره بما وصلت إليه قدرته إليه، خلق لو تخلق الإنسان بمثله لم ينطق لسان يلوم على البخل وعذله والكلب يقبل التأديب والتعليم والتلقين وهو في ذلك أهدى من الفيل والدب والقرد، والغنم المكية، والبيغاء والزرزور حتى أن في أجناسها من لو وضع على رأسه المسرجة، ورمى له قطعة لحم لا يلتفت إليها ما دام على حالته، فإذا أخذت المسرجة عنه وثب على اللحم فأكله وهو يعيش على الجراح التي لا يعيش عليه غيره، وتعرض له أمراض سوداوية منها الكلب، وهو جنون يعترضه وقت طلوع نجم الكلب، وقد ألهم أنه إذا كان في بطنه دود أكل السنبُل ثم يقيئه، فيرميه معه ما في بطنه من الدود



ومن الأمراض الذبحة، والنقرس، والجرب، والهزال، وحدوث قروح لا تبرأ، والكلب إذا أصابه الكلب، وعض إنسانا أصاب الإنسان نباح مثله وألحقته العضة باجراء صغار يراها علقا في صورة الكلاب، والفأر المعضوض ليقول عليه، ومتى بال عليه مات، وتعرف سلامة المعضوض من عطبه أنه يرى وجهه في المرأة، فإن رأى صورته فلا بأس عليه، وإن رأى فيها صورة كلب فجزع، وحرص على الهرب فإنه وشيك الموت، وقد يعالج بأنفحة الكلاب يسقاها مع الماء فيبرأ

### ما يختص به الكلب السلوقي من الطباع<sup>(١)</sup>

سبب نتاج الكلب السلوقي على ما حكاه أصحاب الكلام في الكلبزة: أن الكلاب تسفد الذئب في سلوكية من أرض اليمن فيتولد بينهما السلوقي، وقال آخرون الثعالب والكلب السلوقي، ويقال سلوق مدينة إلى الآن وإليها تنسب الدروع والكلاب، وله نفس متولعة بتناول ما يرسله عليه أهله، ويطلبه بالإحضار خلفه حتى يدركه فيأخذه لهم لأن حرصه على الصيد، وغضبه ليس من أجل نفسه كما يغضب الفهد لأن الجوارح تعمل لأنفسها إلا الكلاب، فإنها تعمل لأصحابها، وهي إذا كثرت عليها الآثار أو اختلطت تلتفت لذلك، وتذهب في كل وجهة، حتى تستثبت، الأثر وتتحقق جهته وذلك من حرصها على مطاوعة أربابها، واستعدادها لنكاية أعدائه، ومسارعها إلى تحصيل غرضه الذي أسلاها بسببه، ومن أعجب الأحوال فيه أنه إذا عاين الظباء قريبة منه كانت أو بعيدة عنه، عرف المقبل من المدبر، وعرف العنز من التيس، وإذا أبصر القطيع لم يقصد غير التيس لعلمه أنه إذا عدا شوطين لم يستطع البول مع شدة الحضر ورفع القوائم معا فينتقص مدئ خطاه، ويعتريه البهر فيلحقه الكلب والمعزى إذا اعتراها البول في العدو لم تمسكه وقذفت به لسعة المسلك، ولأجل ذلك لا يطلبها، ومن عجيب أمره أنه يعرف الميت من الممتاوت حتى يقال: إن الروم لا تدفن ميتا حتى يعرضونه على الكلاب فتظهر من شمه إياه علامة يستدلون بها على حياته أو موته، ويقال أن هذا الحذق لا يوجد إلا في الكلب القلطي وهو

(١) انظر : مباحج الفكر ومناهج العبر ( فصل : الوصف والتشبيه )

صغير الجرم قصير القوائم جدا ويسمى أيضا الصيني وهو مع هذا لا يبلغ رتبة الذئب في الشم والاسترواح، وإناث الكلاب السلوقية أسرع تعلمًا من الذكور، والفهد بالعكس، وهذا النوع يعيش عشرين سنة على ما زعم أرسطو وربما تبلغ الإناث هذا السن، ودلائل النجاسة والفراهة في الكلاب السلوقية أما في الخلقة فطول ما بين اليدين والرجلين، وقصر الظهر وصغر الرأس وطول العنق، وغضف الأذنين، وبعد ما بينهما، وسعة العينين، وبعد ما بينهما وزرقة العين ونتوء الجبهة وعرضها وقصر اليدين أما الألوان فيقال: السوداء أقل صبرا على الحر والبرد، والبيض أفره إذا كن سود العين، وقد قال قوم أن السود أصبر على البرد وأقوى، وكذا كل أسود من الحيوان، ودلائل الفراهة في الجراء، إذا ولدت كلبة واحدا كان أفره من أبويه وإن ولدت ذكرا أو أنثى كان الذكر أفره، وإن ولدت ثلاثا فيها أنثى في شبه الأم، كانت أفره الثلاثة، وإن كان في الثلاثة ذكر واحد فهو أفرها.

#### الوصف والتشبيه

الأحسن في أوصاف الكلاب الأهلية على أن الناس قد نظموا في هذا كثيرا لا سيما العرب، فإنهم أهل الطعام وإكرام، وكانوا يسمون الكلب هادي الضمير وداعي الضيف، ومتهم النعم، ومشيد الذكر، بما يجلب من الأضياف بنباحه، والضمير: القريب من قولهم أضمرته البلاد أي غيبته وكانوا إذا اشتد البرد وهبت الرياح ولم تثبت النيران فرقوا الكلاب حول بيوتهم، وجعلوا لها مطاول، وربطوها على العمدة لتتوحش فتهدى الطلاب بنباحها، وقال ابن هرمة في هذا المعنى وقد أهدى كلبا:

أوصيك خيرا به فإن له ... سجية لا أزال أحملها

يدل ضيفي علي في غسق ال ... ليل إذا النار نام موقدها

وله أيضا من أبيات:

يكاد إذا ما أبصر الضيف مقبلا ... يكلمه ترحبة وهو أعجم

وقال حاتم الطائي يفتخر:

وإذا تنور طارق مستنبح ... نبحت فدلته علي كلابي

وعوين يستعجلنه ولقينه ... يرشدنه بشر اشر الأذنان

قوله: مستنبح يريد أن الضيف الطارق ليلا إذا لم يهتد إلى البيوت بنار ولا كلاب، وذلك لشدة البرد نبح، فإذا سمعت الكلاب نبیحه نبحت فيقصدها حيث كانت وعابه البديع الهمذاني

يزين حين يسمن ... ولا يتبع حين يشبع

وعند الجوع يهتم بالرجوع

ومما تختص به الكلاب السلوقية من الوصف، قال أبو إسحاق الصابي من رسالة: ومعنا كلب عريق المناسب، نجيح المكاسب، حلو الشمائل نجيب المخامل حديد الناظرين اغضف الأذنين، أسيل الخدين، مخطف الجنبين عريض الزور متين الظهر أبي النفس ملهم الشكر لا يمس الأرض إلا تحليلا، وإيماء، ولا يطؤها إلا بإشارة وانحناء، ولبعض الأندلسيين يصفه من رسالة: فحللناه من ساجوره، وأطلقناه، فبلغنا إلى سروره، ومر يخفي شخصه غباره في سدفة سفرته تارة من النصف الطامحة العيون، والهتة اللاحقة البطون معرق في نجابته منعم مخول في فراسته يسمع منك إيماء، ويفهم عنك إيماء المشي، فلا يمس الأرض بأربعة، ويجري فلا يسبقه الريح إلى منزعه:

إذا عدا واشتد في طلابه ... يكاد أن يخرج من إهابه

وقال:

متقد كالنار في التهابه ... لا يطعن الصيد بغير نابه

أعده للحرب من جرابه ... فكل من يرمي به لمأبه

ومن المنظوم في ذلك قول ذي الرمة من أبيات يصفه بسرعة الحضر من  
أبيات:

كأنه كوكب في إثر عقربه ... سوم سوداء الليل مغتصب  
وقال آخر يصف كلبا:

أنعت كلبا يكسر اليعمورا ... مجربا مدربا صبوراً  
يأنف أن يشاكل الصقورا ... منفردا بصيده مغيراً  
ذا شية تحسبها حريراً ... قد حبرت نقوشها تحبيراً  
إذا جرى حسبته المقدورا ... يكاد للسرعة أن يطيراً  
حتفا لمن عن له أسيراً ... أعجز أن يرى له نظيراً  
وقال أبو نواس يصف كلباً:

هجننا بكلب طالما هجننا به ... يتساق المقود من جذابه  
كأن متينه لدى انسلابه ... متنا شجاع لج في انسيابه  
كأنما الاظفور في قنابه ... موس صناع رد في نصابه  
تراه في الحضر أذاها هي به ... يكاد أن يخرج من أهابه  
ترى سوام الوحش إذ تحوي به ... يرحن أسرى ظفره ونابه  
وقال الناصبي قافيا أثره وواردا نهرة:

واغضف عيشي من عذابه ... براح أن يدعي ليغتذي به  
روحه ذي النشوة من شرابه ... يخط بالبرائن في تراه

خط يد الكاتب في كتابه ... ملتقطا للخطو في انتدابه

لقط يد الماهر في حسابه ... يستأسر المعظم عن طلابه

في نأيه عنه وفي اقترابه ... تسلبه الحتفة من أسلابه

ولا يحس ما به لما به ... ينتصل الاظفور من قنابه

كما يسل السيف من قرابه ... تخاله ماجد في التهامه

مجردا بالحضر من أهابه

وقال أبو الطيب المتنبي:

فحل كلابي وثاق الاحبل ... عن أشدق مستوجر مسلسل

اقب ساط شرس شمردل ... مؤجد الفقرة رخو المفصل

له إذا أدبر لحظ المقبل ... يعدو إذا أحرز عدو السهل

إذا تلا جاء المدى وقد تلي ... يقعي جلوس البدوي المصطلي

بأربع مجدولة لم تجدل ... فتل الأيادي رابذات الأرجل

أثارها أمثالها في الجندل ... يكاد الوثب وفي التفتل

يجمع بين متنه والكلكل ... وبين أعلاه وبين الأسفل

شبيهه وسمي الحضار بالولي ... كأنه مصور من جندل

موثق على رماح ذبل ... ذي ذنب أجرد غير أعزل

يخط في الأرض حساب الجمل ... كأنه من جسمه ... بمعزل

نيل المنى وحكم نفس المرسل ... وعقلة الظبي وحتف التفل

لا يأتلي في تركه لا يأتلي ... مقتحما على المكان الأهول  
حتى إذا قلت له نلت افعل ... افترعن مذروبة كالانصل  
لا تعرف العهد بصقل الصيقل ... مركبات في العذاب المنزل  
كأنها من سرعة في الشمال ... كأنها من ثقل في يذبل  
كأنها من سعة في هوجل ... كأنه من علمه . . . بالمقتل  
وعلم بقراط . . . فصاد الأكحل ... فصار ما للقفز للتجدل  
وصار ما في جلده في المرجل ... فلم يضرنا معه فقد الأجدل  
وقال آخر يصف كلباً من أرجوزة:

منسوبة كريمة العراق ... ضارية مشعلة الاحداق  
تخالها في حلق الأطواق ... ضواحكا من سعة الأشداق  
وقال ابن هذيل الأندلسي:

واغضف تلقى أنفه فكأنما ... يقود به نور من الصبح نير  
إذا لهبته شهوة الصيد طامعاً ... رأيت عقيم الريح عنه تقصر  
وقال أبو إسحاق بن خفاجة الأندلسي يصفه:

وأخطل لو تعاطى سبق ريح ... لطار من النجاح بلا جناح  
يسوق الأرض يسأل عن بنيتها ... فتخير أنفه عنها الرياح  
أقب إذا طردت به قنيصا ... تنكب قوسه الأجل المتاح

وله:

ومورس السربال يخلع قده ... عن نجم رجم في سماء غبار  
تستن في سنن الطريق وقد عفا ... قدماً فيقرأ أحرف الآثار  
عف الغمور سراته فكأنه ... والنقع يحجبه هلال سرار  
يفتر عن مثل النصال وإنما ... يمشي على مثل القنا الخطار  
ولآخر:

ومؤدب الاساد يمسك صيده ... متوقفاً عن أكله كالصائم  
صب إذا ما صاد عانق صيده ... طرب المقيم إلى لقاء القادم  
ولآخر:

وما الضبي منها في حشاشة نفسه ... ولكنه كالطفل في حجر أمه  
يلازمه دون احترام كأنما ... تعلق خصم عند قاض بخصمه

## ما اشتق من اسم الكلب<sup>(١)</sup>

قال صاحب الكلب: لَمَا اشْتَقُّوا مِنْ اسْمِهِ لِلْأَشْيَاءِ الْمَحْمُودَةِ أَكْثَرُ؛ قَالَ عَامِرُ  
بْنُ الطَّفِيلِ:

وَمَدَجَّ يَسْعَى بِشَكَّتِهِ ... مَحْمَرَّةً عَيْنَاهُ كَالْكَلْبِ

وَمِنْ وَلَدِ رَبِيعَةَ بَنِ نَزَارٍ كَلْبُ بَنِ رَبِيعَةَ، وَكَلَابُ بَنِ رَبِيعَةَ، وَمَكَالِبُ بَنِ  
رَبِيعَةَ، وَمَكْلَبَةُ بَنُو رَبِيعَةَ بَنِ نَزَارٍ، وَفِيهِمْ مِنَ السَّبَاعِ أَسَدٌ، وَضُبَيْعَةٌ، وَذَنْبٌ،  
وَذَوَيْبٌ، وَهُمْ خَمْسَةُ عَشَرَ رَجُلًا؛ ثَمَانِيَةٌ مِنْ جَمِيعِ السَّبَاعِ، وَمِنْ الثَّمَانِيَةِ أَرْبَعَةٌ  
مَشْتَقَّةٌ مِنْ اسْمِ الْكَلْبِ، وَمِنْ هَذَا الْبَابِ كَلِيبُ بْنُ يَرْبُوعٍ، وَكَلَابُ بْنُ رَبِيعَةَ،  
وَكَلْبُ بْنُ وَبَرَةَ، وَمِنْهُ بَنُو الْكَلْبَةِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

سَيَكْفِيكَ مِنْ ابْنِي نَزَارٍ لِرَاغِبٍ ... بَنُو الْكَلْبَةِ الشَّمُّ الطَّوَالُ الْأَشَاجِعُ

وَالْكَلْبَةُ لِقَبِّ مَيَّةَ بِنْتِ عِلَاجٍ بَنِ شَحْمَةَ الْعَنْبَرِيِّ، وَبَنُوهَا بَنُو الْكَلْبَةِ الَّذِينَ  
سَمِعَتْ بِهِمْ - تَزَوَّجَهَا خُزَيْمَةُ بْنُ النُّعْمَانِ مِنْ بَنِي ضُبَيْعَةَ بَنِ رَبِيعَةَ بَنِ نَزَارٍ، فَهِيَ  
أُمُّهُمْ، وَفِيهَا يَقُولُ شُبَيْلُ بْنُ عَزْرَةَ الضُّبَيْعِيُّ صَاحِبُ الْغَرِيبِ - وَكَانَ شَيْعِيًّا مِنْ  
الْغَالِيَةِ، فَصَارَ خَارِجِيًّا مِنَ الصُّفَرِيَّةِ - :

بَنُو كَلْبَةٍ هَرَّارَةٌ وَأَبُوهُمْ ... خُزَيْمَةُ عَبْدٌ خَامِلٌ الْأَصْلُ أَوْ كَسُ

وَفِي مَيَّةَ الْكَلْبَةِ يَقُولُ أَبُوهَا، وَهُوَ عِلَاجُ بْنُ شَحْمَةَ:

إِنْ تَكُ قَدْ بَانَتْ بِمَيَّةَ غَرَبَةً ... فَقَدْ كَانَ مِمَّا لَا يُمَلُّ مَزَارُهَا

دَعَتْهَا رَجَالٌ مِنْ ضُبَيْعَةَ كَلْبَةً ... وَمَا كَانَ يُشْكِي فِي الْمَحُولِ جَوَارُهَا

(١) انظر: الحيوان للجاحظ (٩٤/١)



ومما اشتقَّ له من اسم الكلب من القرى والبلدان والناس وغير ذلك، قولهم في الوقعة التي كانت بإرم الكلبة، ومن ذلك قولهم: حين نزلنا من السَّراة صرنا إلى نجد الكلبة.

وكان سبب خروج مالك بن فهم بن غنم بن دوس إلى أزد شنوءة من السراة أن بني أخته قتلوا كلباً لجاره، وكانوا أعداً منه فغضب ومضى، فسمي ذلك النجد الذي هبط منه نجد الكلبة.

وبطسوج بادوريا نهر يقال له: نهر الكلبة ويقولون: كان ذلك عند طلوع كوكب الكلب، ومن ذلك قولهم: عبّاد بن أنف الكلب، ومن ذلك أبو عمَرَ الكلبُ الجرَميّ النحوي، وكان رجلاً من العلية عالماً، عروضيّاً نحويّاً فرضيّاً، وعُلُوّيه كلب المطبخ، وكان أشرب الناس للنبذ، وقد راهنوا بينه وبين محمّد بن عليّ.

والكلب: كلب الماء، وكلب الرحى والضبة التي يقال لها الكلب، وكذلك الكلبة والكلبتان، والكُلاب والكُّلوب.

وقال راشد بن شهاب في ذلك المعنى:

أُمَكِّنْ كُلابَ القنا من ثغورها ... وأخضِبْ ما يبدو من استاهها بَدَم

وقال:

فسوف يرى الأقوام ديني ودينكم ... إذا كلبتا قَيْنٍ ومقرّاضه أَرَم

وقال الراجز:

ما زال مذ كان غلاماً يستتر ... له على العيرِ إكافٌ وثَفَرُ

والكلْبَتَانِ والعَلَاةُ والوَتَرُ

وقال أشهب بن رُميلة، وكان أوّل من رمى بني مجاشع بأنهم قُيون:

يا عجبًا هل يركبُ القَيْنُ الفَرَسَ ... وعَرَقُ القَيْنِ على الخَيْلِ نَجَسٌ

وإنما أداته إذا جَلَسَ ... الكلبتان والعلاءة والقَبَسُ

وكان اسم المزنوق فرسِ عامر بن الطفيل: الكلب.

وقد زعمت العلماء أنَّ حرب أَيْامِ هَرَامِيتِ إنما كان سببه كلب.

قال صاحب الديك: قد قيل للخوارج: كلاب النار، وللنوائح: كلاب النار.

وقد قال جندلُ بن الراعي لأبيه في وقوفه على جرير: ما لك تُطيل الوقوفَ  
على كلبِ بني كليب؟! وقال زفر بن الحارث:

يا كلبُ قد كَلِبَ الزَّمانُ عليكمُ ... وأصابكم مِنَّا عذابٌ مُرسلٌ

إنَّ السَّماوةَ لا سَماوةَ فالحقي ... بمَنابِتِ الزَّيتونِ وابني بَحْدُلٍ

وبأرضِ عَكٍّ في السَّواحلِ إنَّها ... أرضٌ تَذوبُ بها اللَّقاحُ وتَهزُلُ

وقال حُصَيْن بن القَعْقاعِ يرثي عُتَيْبَةَ بنِ الحارثِ:

بَكَرَ النِّعْيُ بِخَيْرِ خِنْدَفٍ كُلِّها ... بِعُتَيْبَةَ بنِ الحارثِ بنِ شِهابٍ

قَتَلُوا ذُؤَابًا بَعْدَ مَقْتَلِ سَبْعَةٍ ... فَشَفَى الغَليْلَ وَرَبِيعَةَ المَرْتابِ

يَوْمَ الحَلِيسِ بِذِي الفَقَارِ كَأَنَّهُ ... كَلِبٌ بِضَرْبِ جِماجمِ وَرِقابِ

وقال آخر:

لِللَّهِ دُرٌّ بَنِي الحَدَّاءِ مِنْ نَفَرٍ ... وَكُلُّ جَارٍ عَلَى جِيرانِهِ كَلِبٌ

إِذَا غَدَوْا وَعِصِيَّ الطَّلَحِ أَرْجُلُهُمْ ... كَمَا تَنْصَبُّ وَسَطَ البَيْعَةِ الصُّلْبُ

وإذا كان العُود سريع العُلوق في كلِّ زمانٍ أو كلِّ أرضٍ، أو في عامَّة ذلك قالوا: ما هو إلَّا كلب.

وقالوا: قال النبي صلى الله عليه وسلم في وزرِ بن جابر حين خرج من عنده واستأذنه إلى أهله: نعم إن لم تدركه أمُّ كلبَة يعني الحمَّى.

وممَّا ذكروا به العضو من أعضاء الكلب والكلبة والخلق منهما أو الصفة الواحدة من صفاتهما، أو الفعل الواحد من أفعالهما، قال رؤبة:

لا قيت مَطْلًا كُنْعَاسِ الْكَلْبِ

يقول: مطلا مُقَرَّمَطًا دائِمًا، وقال الشاعر في ذلك:

يكون بها دليلُ القومِ نجمٌ ... كعينِ الكلبِ في هُبِّي قِبَاعِ

قال: هذه أرضُ ذاتِ غبرة من الجذب لا يبصر القوم فيها النجم الذي يُهْتَدَى به إلَّا وهو كأنه عين الكلب، لأنَّ الكلب أبداً مُغْمَضٌ غير مطبق الجفون ولا مفتوحها، والهَبِّي: الظلمة واحداها هابٍ، والجمع هُبِّي مثل غازٍ وغَزَّى، والقِبَاع: التي قُبعت في القتام، واحداها قابع، كما يقبَع القنفذ وما أشبهه في جُحره، وأنشد لابن مقبل:

ولا أطرُق الجاراتِ بالليلِ قابعاً ... قُبُوعَ القَرْنَبِي أخلفته مجاعره

والقُبوع: الاجتماع والتقبُّض، والقَرْنَبِي: دُوَيْبَّة أعظم من الخُنَفَاء.

### شعر في الهجاء له سبب بالكلب<sup>(١)</sup>

وقال الآخر في صفة بعض ما يعرض له من العيوب:

ما ضَرَّ تغلبَ وائلٍ أهجوتَها ... أم بُلَّتْ حيثُ تناطَحَ البحرانِ

إنَّ الأراقمَ لا ينالُ قديمَها ... كلبٌ عَوَى متهتَّمُ الأسنانِ

وقال الشاعر في منظور بن رَبَّان:

لبئسَ ما خَلَّفَ الآباءُ بعدهمُ ... في الأُمَّهاتِ عِجَانُ الكَلْبِ مَنْظُورُ

ومن هذا الضرب قول الأعرابي:

لقد شَانَ صغري والياها وزَيْنَا ... لصغري فتى من أهلها لا يَزِينُها

كلابٍ لعابِ الكلبِ إن ساقَ هَجْمَةٍ ... يعذَّبُ فيها نفسَه ويُهَيِّنُها

وقال عمرو بن معد يكرب:

لحا اللهَ جَرَمًا كَلِّمًا ذَرَّ شَارِقُ ... وجوهُ كِلابٍ هارِشَتْ فازبَارَتْ

وقال أبو سفيان بن حرب:

ولو شئتُ نَجَّتَنِي كُـمَيْتٌ طِمْرَةٌ ... ولم أَجْعَلِ النِّعْمَاءَ لابنِ شَعُوبٍ

وما زال مُهْرِي مَزَجَرَ الكَلْبِ مِنْهُمْ ... لدنْ غِدْوَةٌ حَتَّى دَنَتْ لِغُرُوبِ

وقال عبد الرحمن بن زياد:

---

(١) انظر : الحيوان للجاحظ (٩٦/١)

دَعَتْهُ بِمَسْرُوقِ الْحَدِيثِ وَظَالِعٍ ... مِنْ الطَّرَفِ حَتَّى خَافَ بِصَبْصَةِ الْكَلْبِ

وَقَالَ شَرِيحُ بْنُ أَوْسٍ:

وَعَيَّرْتَنَا تَمْرَ الْعِرَاقِ وَنَخْلَهُ ... وَزَادَكَ أَيْرَ الْكَلْبِ شَيْطَهُ الْجَمْرُ

وَقَالَ آخَرُ وَهُوَ يَهْجُو قَوْمًا:

فَجَاءَ بِخَرِشَاوِي شَعِيرٍ عَلَيْهِمَا ... كِرَادِيْسُ مِنْ أَوْصَالِ أَعْقَدَ سَافِدِ

وَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ الْوَلِيدِ:

ذَهَبَ الَّذِينَ إِذَا رَأَوْنِي مُقْبِلًا ... هَشُّوا وَقَالُوا: مَرْحَبًا بِالمُقْبِلِ

وَبَقِيْتُ فِي خَلْفٍ كَأَنَّ حَدِيثَهُمْ ... وَلَغَّ الْكِلَابُ تَهَارَشَتْ فِي مَنْهَلِ

وَقَالَ سَبْرَةُ بْنُ عَمْرِو الْفَقْعَسِيِّ، حِينَ ارْتَشَى ضَمْرَةَ النَّهْشَلِيِّ، وَنَفَرَ عَلَيْهِ عِبَادُ  
بَنِ أَنْفِ الْكَلْبِ الصَّيْدَاوِيِّ فَقَالَ سَبْرَةُ:

يَا ضَمْرُ كَيْفَ حَكَمْتَ أَمْلَكَ هَابِلٌ ... وَالْحَكْمُ مَسْئُولٌ بِهِ الْمُتَعَمِّدُ

أَحْفِظْتَ عَهْدًا أَمْ رَعَيْتَ أَمَانَةً ... أَمْ هَلْ سَمِعْتَ بِمِثْلِهَا لَا يُنْشَدُ

شَنْعَاءَ فَاقِرَةٍ تَجَلَّلَ نَهْشَلًا ... تَغُورُ بِهِ الرِّفَاقُ وَتُنْجِدُ

إِنَّ الرِّفَاقَ أَمَالَ حَكْمَكَ حُبُّهَا ... فَلَكَ اللِّقَاءُ وَرَاكِبٌ مُتَجَرِّدُ

فَضَحَ الْعَشِيرَةَ وَاسْتَمَرَ كَأَنَّهُ ... كَلْبٌ يَبْصِصُ لِلْعِظَالِ وَيَطْرُدُ

لَا شَيْءَ يَعْدِلُهَا وَلَكِنْ دُونَهَا ... خَرَطُ الْقَتَادِ تَهَابُ شَوْكَتَهَا الْيَدُ

جَوْعَانُ يَلْحَسُ أَسْكَتَا زَيْفِيَّةً ... غَلِمَ يَثُورُ عَلَى الْبِرَائِنِ أَعْقَدُ

وَقَالَ مَزْرَدُ بْنُ ضَرَارٍ:

وإنَّ كَنَازَ اللَّحْمِ مِنْ بَكَرَاتِكُمْ ... تَهْرُ عَلَيْهَا أُمَّكُمْ وَثُكَالِبُ  
وَلَيْتَ الَّذِي أَلْقَى فَنَاؤُكَ رَحْلَهُ ... لَتَقْرِيه بِالتُّ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ

وهذان البيتان من باب الاشتقاق لا من باب الصفات وذكر الأعضاء، وقال:

يا سَبْرُ يا عَبْدَ بَنِي كِلَابٍ ... يا أَيْرَ كَلْبٍ مُوثِقٍ بِبَابٍ  
أَكَانَ هَذَا أَوَّلَ الثَّوَابِ ... يا وَرَلًا رَقْرَقَ فِي سَرَابٍ  
لَا يَعْليقنكم ظفري ونابي

وقال الآخر:

كَأَنَّ بَنِي طُهَيْةٍ رَهْطَ سَلَمَى ... حَجَارَةٌ خَارِيٍّ يَرْمِي الْكِلابَا

وقال صاحب الكلب: ومما اشتقَّ من اسم الكلب في موضع النباهة، كليب بن ربيعة، هو كليب وائل، ويقال إنه قيل في رجلين من بني ربيعة ما لم يُقْلَ في أحدٍ من العرب، حتَّى ضُربَ بهما المثل، وهو قولهم: أعزُّ من كليبٍ وائل، والآخر: لا حرَّ بوادي عَوْفٍ.

قالوا: وكانت ربيعة إذا انتجعت معه لم توقد ناراً ولم تحوِّض حوضاً، وكان يحمي الكلاً ولا يُتكلَّمُ عنده إلاَّ خفضاً، ويجير الصيد ويقول: صيدُ أرضٍ كذا وكذا في جوارِي لا يباح، وكان له جرو كلب قد كتَّعه فربما قذَف به في الروضة تعجبهُ، فيحميها إلى منتهى عوائه، ويلقيه بحريم الحوض فلا يردهُ بغير حتَّى تصدُرَ إبله.

### ما قيل من الشعر في كليب<sup>(١)</sup>

وفي ذلك يقول معبد بن شعبة التميمي :

أظنَّ ضِرَارًا أَنِّي سَأُطِيعُهُ ... وَأَنِّي سَأُعْطِيهِ الَّذِي كُنْتُ أَمْنَعُ  
إِذَا غُرِرْتُ عَيْنَاهُ وَاحْمَرَّ وَجْهُهُ ... وَقَدْ كَادَ غِيْظًا وَجْهُهُ يَتْبَضَّعُ  
تَقَدَّمَ فِي الظُّلْمِ الْمُبِينِ عَامِدًا ... ذِرَاعًا إِذَا مَا قُدِّمْتُ لَكَ إِصْبَعُ  
كَفَعَلِ كُليبٍ كُنْتُ أَنبُتُ أَنَّهُ ... يَخْلُطُ أَكْلَاءَ الْمِيَاهِ وَيَمْنَعُ  
يُجِيرُ عَلَى أَفْنَاءِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ... أَرَانِبَ ضَااحٍ وَالظُّبَاءَ فَتَرْتَعُ  
وَقَالَ دَرِيدُ بْنُ الصَّمَةِ:

لَعَمْرُكَ مَا كُليبٌ حِينَ دَلَّى ... بِحَبْلِ كَلْبِهِ فَيَمْنُ يَمِيحُ  
بِأَعْظَمَ مِنْ بَنِي سَفِيَّانَ بَغِيًّا ... وَكُلُّ عَدُوِّهِمْ مِنْهُمْ مَرِيحُ  
وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ:

كَمَا كَانَ يَبْغِيهَا كُليبٌ بِظُلْمِهِ ... مِنَ الْعَزِّ حَتَّى طَاحَ وَهُوَ قَتِيلُهَا  
عَلَى وَائِلٍ إِذْ يُنْزَلُ الْكَلْبُ مَائِحًا ... وَإِذْ يُمْنَعُ الْأَكْلَاءُ مِنْهَا حُلُولُهَا  
وَقَالَ عَبَّاسٌ أَيْضًا لِكُليبِ بْنِ عَهْمَةَ الظُّفَرِيِّ:

أَكُليبُ إِنَّكَ كُلَّ يَوْمٍ ظَالِمٌ ... وَالظُّلْمُ أَنْكَدُ وَجْهُهُ مَلْعُونُ  
تَبْغِي بِقَوْمِكَ مَا أَرَادَ بَوَائِلُ ... يَوْمَ الْغَدِيرِ سَمِيكَ الْمَطْعُونُ

(١) انظر : الحيوان للجاحظ (٩٧/١)

وإِخَالُ أَتَّكَ سَوْفَ تُلْقَى مِثْلَهَا ... فِي صَفْحَتِكَ سَنَانُهُ الْمَسْنُونُ

وَقَالَ النَّابِغَةُ الْجَعْدِي:

كَلِيبٌ لَعْمَرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا ... وَأَيْسَرَ ذَنْبًا مِنْكَ ضُرِّجَ بِالْدَّمِ

رَمَى ضَرْعَ نَابٍ فَاسْتَمَرَ بَطْعَنَةً ... كَحَاشِيَةِ الْبُرْدِ الْيَمَانِيِّ الْمَسْهُمِ

وَقَالَ قَطِرَانُ الْعَبْشَمِيُّ، وَيُقَالُ الْعَبْشِيُّ:

أَلَمْ تَرِ جَسَّاسَ بْنَ مُرَّةٍ لَمْ يَرِدْ ... حِمَى وَائِلٍ حَتَّى احْتَدَاهُ جَهْلُهَا

أَجَرَ كَلِيبًا إِذْ رَمَى النَّابَ طَعْنَةً ... جَدَّتْ وَائِلًا حَتَّى اسْتَخَفَّتْ عَقُولَهَا

بَاهُونَ مِمَّا قَلْتَ إِذْ أَنْتَ سَادِرٌ ... وَلِلدَّهْرِ وَالْأَيَّامِ وَالْإِدِيلِهَا

وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي هَلَالٍ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ:

نَحْنُ أَبْسَنَّا تَغْلِبَ ابْنَةَ وَائِلٍ ... بِقَتْلِ كَلِيبٍ إِذْ طَغَى وَتَخَيَّلَا

أَبَانَاهُ بِالنَّابِ الَّتِي شَقَّ ضَرْعَهَا ... فَأَصْبَحَ مَوْطِئَ الْحِمَى مُتَذَلِّلًا

وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَدُوسَ:

وَأَنْتَ كَلِيبِيَّ لَكَلِيبٍ وَكَلِيبَةٍ ... لَهَا حَوْلَ أَطْنَابِ الْبُيُوتِ هَرِيرُ

وَقَالَ ابْنُ مَقْبِلِ الْعَجَلَانِيِّ:

بَكَتْ أُمُّ بَكْرٍ إِذْ تَبَدَّدَ رَهْطُهَا ... وَأَنْ أَصْبَحُوا مِنْهُمْ شَرِيدٌ وَهَالِكُ

وَإِنَّ كَلَا حَيِّكَ فِيهِمْ بَقِيَّةٌ ... لَوْ أَنَّ الْمَنَايَا حَالُهَا مَتَمَّاسُكُ

كَلَابٌ وَكَعَبٌ لَا يَبِيتُ أَخُوهُمْ ذَلِيلًا وَلَا تُعْبِي عَلَيْهِ الْمَسَالِكُ

وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كَلَابٍ مِنَ الْخَوَارِجِ، لِمَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ:



قد سِرَتْ سَيْرَ كُليبٍ في عَشِيرَتِهِ ... لو كان فيهم غلامٌ مثلُ جَسَّاسِ

الطاعن الطعنة النجلاء عانِدها ... كطَرَّة البرد أعيا فتقُّها الآسي

هون من تبالة على الحجاج

وقال أبو اليقظان في مثل هذا الاشتقاق: كان أوَّل عملٍ وليه الحجاج بن يوسف تبالة، فلما سار إليها وقُرِب منها قال للدليل: أين هي، وعلى أيِّ سمت هي؟ قال: تسترك عنها هذه الأكمة، قال: لا أراني أميراً إلاَّ على موضع تسترني منه أكمة، أهونُ بها عليّ؟ وكرَّر راجعاً، ف قيل في المثل: أهونُ من تبالة على الحجاج.

ما اشتق من نباح الكلاب وما قيل من الشعر فيه

وقال طفيل الغنوي:

عَوَازِبُ لَمْ تَسْمَعْ بُبُوحَ مَقَامَةٍ ... ولم تَرَ نَارًا تَمَّ حَوْلَ مَجْرَمٍ

وإنَّما أخذ ذلك للجميع من نباح الكلاب.

وذكروا أن الظبي إذا أَسَنَّ ونبَّتْ لقرونه شُعْبٌ نَبَحَ، وهو قول أبي دُوَاد:

وقَصْرَى شَنِجَ الْأَنْسَا ... نَبَّاحٌ مِنَ الشَّعْبِ

يعني من جهة الشعب؛ وأنشد بعضهم:

وَيَنْبَحُ بَيْنَ الشَّعْبِ نَبْحًا كَأَنَّهُ ... نُبَّاحُ سَلُوقٍ أَبْصَرَتْ مَا يُرِيهَا

وَيَبْضُهَا الْهَزْلُ الْمَسُودُ غَيْرَهَا ... كما ابْيَضَّ عن حَمْضِ الْمَرَا حِمِ نَبْضُهَا

لأن الظبي إذا هزل ابْيَضَّ، والبعير يَشِيب وجهه من أكل الحَمْضِ، وكذلك

قال ابن لَجَأ:

شَابَتْ وَلَمَّا تَدُنْ مِنْ ذَكَائِهَا

كما قال الآخر:

أَكْلَنْ حَمْضًا فَالْوُجُوهُ شَيْبٌ ... شَرِبْنِ حَتَّى نَزَحَ الْقَلِيبُ

وقد تصير النَّاقَةُ الحمراء إذا أَتَمَّتْ حَبَشِيَّةً، ولذلك قال الشاعر:

حمراء لا حَبَشِيَّةَ الْإِتْمَامِ

وما أشبه ذلك بقول العبدِيّ:

وداويْتُهَا حَتَّى شَتَّتْ حَبَشِيَّةً ... كَأَنَّ عَلَيْهَا سُنْدُسًا وَسُدُوسًا

والدَّوَاءُ: اللبِن، فلذلك تصير الفرس إذا أَلْقَتْ شعرها وطرَّت، تستديل هذا اللون.

وقال خالد بن الصَّقْعَبِ النَّهْدِيّ:

هَبَطْنَا بَعْدَ عَهْدِكَ بَطْنُ حَبْتٍ ... تَظَلُّ حَمَامُهُ مِثْلَ الْخُصُومِ

كَأَنَّ عَرِينَ أَيْكَتِهِ تَلَاقَى ... بِهِ جَمْعَانِ مِنْ نَبْطٍ وَرُومِ

نُبَاحُ الْهَدْهِدِ الْحَوْلِيِّ فِيهِ ... كَنَبْحِ الْكَلْبِ فِي الْإِنْسِ الْمَقِيمِ

ويقال إِنَّ الْهَدْهَدَ يَنْبَحُ، وَرَبَّمَا جَعَلُوا الْهَدْهَدَ، الَّذِي يَنْبَحُ، الْحَمَامَ الذَّكَرَ، قال الشاعر - وهو يصف الحمام الذَّكَرَ كيف يصنع فيها:

وإذا استترن أَرَنَّ فِيهَا هُدْهَدٌ ... مِثْلُ الْمَدَاكِ خَضَبَتُهُ بِجَسَادِ

وقال طُفَيْلٌ فِي النُّبُوحِ وَالْمَجَاعَاتِ:

وَأَشْعَثَ تَزْهَاهُ النُّبُوحُ مُدَفِّعٍ ... عَنِ الزَّادِ مِمَّا جَلَّفَ الدَّهْرُ مُحْثَلِ

وقال الجعدي:

فلما دنونا لصوت النباح ... ولا نبصر الحي إلا التماسا

وقال ابن عبدل:

آليت إذ آليت مجتهداً ... ورفعت صوتاً ما به بحح

لا يُدرِك الشعراء منزلتي ... في الشعر إن سكتوا وإن نبخوا

وقال عمرو بن كلثوم:

وقد هرت كلاب الحي منّا ... وشدد بنا قتادة من يلينا

وقال بعض العلماء: كلاب الحي شعراؤهم، وهم الذين ينبحون دونهم، ويحمون أعراضهم، وقال آخرون: إن كلاب الحي كل عقور، وكل ذي عيون أربع.

وأما قوله:

لعمرك ما خشيت على أبي ... رماح بني مقيدة الحمار

ولكنني خشيت على أبي ... رماح الجن أو إياك حار

فالطواعين هي عند العرب رماح الجن، وفي الحديث: إن الطاعون وخز من الشيطان.

وقال أبو سلمى:

لا بد للسودد من أرماح ... ومن سفیه دائم النباح

ومن عديد يتقى بالراح

وقال الأعشى:

مِثْلَ أَيَّامٍ لَنَا نَعْرِفُهَا ... هَرَّ كَلْبُ النَّاسِ فِيهَا وَنَبَحَ  
رُزْنُ الْأَحْلَامِ فِي مَجْلِسِهِمْ ... كُلَّمَا كَلَّبَ مِنْ النَّاسِ نَبَحَ

وقال:

سَيَبْحُ كَلْبِي جَاهِدًا مِنْ وَرَائِكُمْ ... وَأَغْنِي غَنَائِي عَنْكُمْ أَنْ أُؤَنِّبَا

وقال أبو ذؤيب:

وَلَا هَرَّهَا كَلْبِي لِيَبْعَدَ تَعْرِهَا ... وَلَوْ نَبَحْتَنِي بِالشَّكَاةِ كَلَابُهَا

كلابها: شعراؤها، وهو قول بشر بن أبي خازم:

وإِنِّي وَالشَّكَاةَ لَأَلِ لَأَمْ ... كَذَاتِ الضُّغْنِ تَمْشِي فِي الرَّفَاقِ

وقال أبو زُبَيْد:

أَلَمْ تَرَنِي سَكَنْتُ لَأَيًّا كَلَابُهُمْ ... وَكَفَكَفْتَ عَنْكُمْ أَكْلِي وَهِيَ عُقْرُ

## قصص تتعلق بالكلاب<sup>(١)</sup>

وزعم الیقطريُّ أنَّه أبصرَ رجلاً یُکُومُ کلبَةً من کِلَابِ الرعاء، ومَرَّ بذلك الزُّبَّ العظیم فی ثفرها - والثَّفرُ منها ومن السبع، کالحِرِّ من المرأة والطَّیبة من الأتان والحِجر، والحیاء من الناقة والشاة - فزعم أنَّها لم تعقد علیه، ولا ندري أمکنته أم اغتصبها نفسها.

وأما النَّاسُ ففی مُلح أحادیثهم: أنَّ رجلاً أشرفَ علی رجل وقد ناک کلبَةً فعقدت علیه، فبقي أسيراً مستخزياً يدور معها حیث دارت، قال: فصاح به الرجل: اضرب جَنبِها، فأطلقتها، فرفعَ رأسه إلیه، فقال: أخزاه الله أيُّ نیاكِ کلباتٍ هو.

وخبرني من لا أَرُدُّ خبره، أنَّه أشرفَ من سطحٍ له قصیر الحائط، فإذا هو بسوادٍ فی ظلِّ القمر فی أصل حائط، وإذا أنینُ کلبة، فرأى رأسَ إنسان یدخل فی القمر، ثم یرجع إلی موضعه من ظلِّ القمر، فتأمل فی ذلك فإذا هو بحارس ینیک کلبة، قال: فرجمته وأعلمته أنَّی قد رأيتُ، فصَبَّحني من الغد یقرع الباب علی، فقلت له: ما حاجتك؟ وما جاء بك؟ فلقد ظننتُ أنَّک سترکب البحر أو تمضي علی وجهک إلی البراري، قال: جُعِلْتُ فِداک، أسألك أن تستر علی، سترَ الله علیک، وأنا أتوب علی یدیک قال: قلت ویلک، فما اشتھیت من کلبة؟ قال: جُعِلْتُ فِداک، کلُّ رجلٍ حارسٍ لیس له زوجةٌ ولا نجل، فهو ینیک إناثَ الکلاب إذ کنَّ عظامَ الأجسام، قال: فقلت: فما یخاف أن تعضَّه؟ قال: لو رامَ ذلك منها غیر الحارس التي هي له وقد باتت معه فأدخلها فی کسائه فی لیالي البرد والمطر، لما ترکته، وعلی أنَّه إن أراد أن یوعبه کلَّه لم تستقرَّ له، قال: ونسیتُ أن أسأله: فهل تعقد علی أیور النَّاسِ کما تعقد علی أیور الکلاب؟ فلقيته بعد ثلاثین سنة،

(١) انظر: الحيوان للجاحظ (١١٢/١)

فقال: لا أدري لعلها لا تعقد عليه، لأنه لا يُدخِلُه فيها إلى أصله، لعل ذلك أيضاً إنما هو شيءٌ يحدث بين الكلب والكلبة، فإذا اختلفا لم يقع الالتحام، قال: فقلتُ: فطَيَّبُ هو؟ قال: قد نكثت عامة إناث الحيوانات فوجدتُهنَّ كلَّهنَّ أطيَّبَ من النساء، قلتُ: وكيف ذلك؟ قال: ما ذاك إلا لشدة الحرارة، قال: فطال الحديث حتى أنس فقلتُ له: فإذا دار الماء في صُلبك وقرب الفراغ؟ قال: فربما التزمتُ الكلبة وأهويت إلى تقبيلها، ثم قال: أما إنَّ الكلاب أطيَّبُ شيءٍ أفواهاً، وأعذبُ شيءٍ ريقاً؛ ولكن لا يمكن أن أنيكها من قدام، ولو ذهبتُ أن أنيكها من خلف وثنيْتُ رأسها إلى أن أقبلها، لم آمن أن تظنَّ بي أني أريدُ غيرَ ذلك فتكدِّم فمي ووجهي، قال فقلتُ: فإنِّي أسألك بالذي يسترُ عليك، هل نَزَعْتَ عن هذا العملَ منذُ أعطيتني صفقة يدك بالتوبة؟ قال: ربَّما حنَّتُ إلى ذلك فأحتبسُ بعهدك.

قال: وقلتُ: وإنَّك لتحنُّ إليها؟ قال: واللَّه إني لأحنُّ إليها، ولقد تزوجتُ بعدك امرأتين، ولي منهما رجالٌ ونساء، ومن تعود شيئاً لم يكد يصبرُ عنه قال: فقلتُ له: هل تعرف اليومَ في الحُرَّاس من ينيك الكلبات؟ قال: نعم، خذ محمويه الأحمر، وخذ يشجب الحارس، وخذ قفا الشاة، وخذ فارساً الحمامي فإنَّ فارساً كان حارساً وكان قيِّمَ حمَّام، وكان حَلَقِيَّاً، فزعم أنَّه ناك الكلاب خمسين سنة، وشاخ وهزل وقُبِحَ وتشنَّج، حتى كان لا يُنيكه أحد، قال: فلم يزَلْ يحتالُ لكلب عنده حتى ناكه، قال: وكان معه بخير حتى قتله اللصوص، ثمَّ أشرفَ على فارسٍ، هذا المحتسبُ الأحذبُ، وهو ينيك كلبه فرماه بحجر فدمغَه، قال: فالكلاب كما ترى تُتَّهَمُ بالنساء، وينيكها الرجال، وتنيك الرجال، وليس شيءٌ أحقَّ بالنفي والإغراب والإطراد وبالقتل منها، ونحن من السباع العادية الوحشية في راحة، إلا في القُرْط فإنَّ لها غراماً على بعض الماشية، وجنايةً على شرار العامة وكذلك البهائم، وما عسى أن يبلغ من وطءٍ بغير ونطح كبش، أو خمش سنورٍ أو رَمَحَ حمار، ولعلَّ ذلك يكون في الدهر المرَّة والمرتين، ولعلَّ ذلك أيضاً لا ينال إلا عبداً أو خادماً أو سائساً، وذلك محتمل، فالكلاب مع هذه الآفات شركاءُ الناس في دورهم وأهاليهم.

قال صاحب الكلب: إن كنتم إلى الأذى بالسلاح تذهبون، وإلى قشر طين السطوح بالبرائن تميلون، وإلى نتن السلاح وقذر المأكول والمشروب تقصدون، فالسنور أكثر في ذلك، وقد رويتم عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك أنه قال: هُنَّ مِنَ الطَّوَّافَاتِ عَلَيْكُمْ، فإذا كان ذلك في السنابير مغتفراً، لانتفاعهم بها في أكل الفأر، فمنافع الكلاب أكثر، وهي بالاعتقاد أحق، وفي إطلاق ذلك في السنور دليل على أنه في الكلاب أجوز.

وأما ما ذكرتم من إنعاضه، فلعمري إنه ما ينبغي للغيور أن يُقيم الفرس ولا البرذون والبغل والحمار والتيس في المواضع التي تراها النساء، والكلب في ذلك أحسن حالاً، وقد كره ناس إدخال منازلهم الحمام والديكة والدجاج والبط خاصة؛ لأن له عند السفاد قضيياً يظهر، وكذلك التيس من الطباء، فضلاً عن ثيوس الصفايا، فهذا المعنى الذي ذكرتم يجري في وجوه كثيرة وعلى أن للحمام خاصة من الاستشارة، والكسُم بالذئب، والتقبيل الذي ليس للناس مثله، ثم التقبيل والتغرل والتنفُّس، والابتهاج بما يكون منه بعد الفراغ، وركوب الأنثى للذكر وعدم إمكانها لغير ذكرها، ما يكون أهيج للنساء ممَّا ذكرتم، فلم أفردتم الكلب بالذكر دون هذه الأمور، التي إذا عاينت المرأة غرُمُولَ واحدٍ منها، حقّرت بعلمها أو سيّدها، ولم يزل ظلُّ ذلك الغرُمُول يعارضها في النوم، وينبّهها ساعة الغفلة، ويُحدث لها التمني لما لا تقدر عليه، والاحتقار لما تقدر عليه، وتركتم ذكر ما هو أجلُّ وأعظمُ إلى ما هو أخسُّ وأصغر؟ فإن كنتم تذهبون في التشنيع عليه إلى ما يعقر من الصبيان عند العبث والتعرُّض، والتحكك والتهيج والتحرّيش، فلو أن الذي يأتي صبيانكم إلى الكلب، من الإلحاح بأصناف العبث - والصبيان أقسى الخلق وأقلهم رحمة - أنزلوه بالأحنف ابن قيس، وقيس بن عاصم، بل بحاجب بن زُرارة وحصن بن حذيفة، لخرّجوا إلى أقبح ممَّا يخرج إليه الكلب، ومن ترك منهم الأخذ فوق يد ابنه، فهو أحقُّ باللائمة.

وبعد فما وجدنا كلباً وثب على صبيّ فعقره من تلقاء نفسه، وإنه ليردّد عليه وهو في المهد، وهو لحمٌ على وضم، فلا يشمه ولا يدنو منه، وهو أكثر خلق الله تعالى تشمُّماً واسترواحاً؛ وما في الأرض كلبٌ يلقي كلباً غريباً إلا شم كلُّ

واحدٍ منهما استَ صاحبه، ولا في الأرضِ مَجُوسِيٌّ يَمُوتُ فَيُحْزَنُ على موته ويحمل إلى النّووس إلا بعد أن يُدْنِي منه كلبٌ يَشُمُّه، فإنّه لا يخفى عليه في شَمِّه عندهم، أحيٌّ هو أم ميّتٌ؛ للطاّفةِ حسّه، وأنّه لا يأكل الأحياء، فأما اليهود فإنهم يتعرّفون ذلك من الميّت، بأن يدهنوا استه، ولذلك قال الشاعر وهو يرمي ناساً بدين اليهودية:

إذا مات منهم ميّتٌ مَسَحُوا استه ... بدهنٍ وحَفُوا حوله بقرام

### قتيل الكلاب

وتنازع مالك بن مسمع وشقيق بن ثور، فقال له مالك: إنّما رفعك قبرٌ بُسِّتَر فقال شقيق: حينَ وضعك قبرٌ بالمشقّر، يا ابن قتيلِ النساءِ وقتيلِ الكلاب.

قال: وكان يقال لمسمع بن شيبان قتيلُ الكلاب، وذلك أنّه لجأ في الردة إلى قومٍ من عبد القيس، فكان كلبُهم ينبُحُ عليه فخاف أن يدلَّ على مكانه فقتله فقتل به.

### نفع الكلب

والكلب إن كان كما يقول، فإنَّ له يداً تشجُّ وأخرى تأسو، بل ما يدفع الله بحراسته ويجلب من المنافع بصيده أكثرُ وأغمر، وهو الغامر لا المغمور، والفاضل لا المفضول، والديك يفتأ العيونَ وينقُر الأدمغة ويقتل الأنفس، ويشجُّ ولا يأسو؛ فشَرُّه صرف وخيره ممزوج، إلا أن يزعموا أنّه يحرس من الشيطان، فيكون هذا من القول الذي يحتاج إلى البرهان، ومن عارض منافع الكلاب وحراستها أموال الناس من اللصوص، ومنع السباع من الماشية، وموضع نفع الكلب في المزارع - وذلك عيان ونفعه عامٌ وخطبه عظيم - بما يدعى من حراسة الديكة للشيطان، لم يكايل ولم يُوازن ولم يعرف المقايسة، ولا وقف قطُّ على معنى المقابلة ودلَّ بذلك على أن مبلغ رأيه لا يجوز رأي النساء.



العواء وما قيل من الشعر فيه

ويكون العواء للكلب والذئب والفصيل، وقال النابغة:

ألم أكُ جارَكم فتركتُموني ... لِكَلْبِي فِي دِيَارِكُمْ عَوَاءُ

وقال الشاعر:

وإني امرؤٌ لا تقشعرُّ ذؤابتي ... من الذئب يعوي والغراب المحجل

وقال الشاعر:

ومستبجٍ تستكشط الرِّيحُ ثوبه ... ليسقط عنه وهو بالثوب مُعصم

عوى في سوادِ الليل بعد اعتسافه ... لينبح كلبٌ أو ليفزع نُوم

فجأوبه مستسمع الصوت للقرى ... له مع إتيان المهيّن مطعم

يكاد إذا ما أبصر الضيف مُقبلاً ... يكلمه من حبه وهو أعجم

وقال ذو الرُّمة:

به الذئب محزوناً كأنَّ عواءه ... عواءُ فصيل آخر الليل مُحثل

وقال آخر:

ومنهل طامسة أعلامه ... يعوي به الذئب وتزقو هامه

وقال عَقل بن عُلَفة يهجو زبَّان بن منظور:

لا بارك الله في قوم يسودهم ... ذئبٌ عوى وهو مشدود على كور

لم يبق من مازن إلا شراؤهم ... فوق الحصى حول زبَّان بن منظور

وقال غيلان بن سلمة:

ومعرّس حين العشاء به ... الحبس فالأنواء فالعقل

قد بثّه وهناً وأزقني ... ذئب الفلاة كأنه جذلٌ

فتركته يعوي بقفرتّه ... ولكلّ صاحب قفرةٍ شكلٌ

بتؤوفه جرداء يجزعها ... لحب يلوح كأنه سحل

وقال مغلس بن لقيط:

عوى منهم ذئبٌ فطرب عادياً ... على فعليات مُستثارٍ سخيمها

إذا هنّ لم يلحسّن من ذي قرابةٍ ... دماً هليست أحسادها ولحومها

وقال الأحيمر السعدي:

عوى الذئبُ فاستأنست بالذئبِ إذ عوى

وصوتَ إنسان فكِدْتُ أطيرو وقال آخر:

وعاوى عوىً والليلُ مستحلس الندى ... وقد زحفت للغور تالية النجم

وذلك أنّ الرجلَ إذا كانَ باغياً أو زائراً، أو ممّن يلمس القرى، ولم ير بالليل نارا، عوى ونبح، لتجيبه الكلاب، فيهتدي بذلك إلى موضع الناس.

وقال الشاعر:

ومُستنبحٍ أهلَ الثرى يلمس القرى ... إلينا وممساها من الأرض نازح

وقال عمرو بن الأهتم:

ومستنبحٍ بعد الهدوءِ دعوته ... وقد حان من ساري الشتاء طروق

فهذا من عواء الفصيل والذئب والكلب.

ما قالوا في أنس الكلب وإلفه<sup>(١)</sup>

وقال صاحب الكلب: ومما قالوا في أنس الكلب وإلفه، وحبه لأهله وللمن أحسن إليه قول ابن الطثرية:

يا أمَّ عمرو أنجزي الموعودا ... وارعي بذاك أمانةً وعهودا  
ولقد طرقت كلابَ أهليك بالضُّحى ... حتَّى تركت عُقُورَهُنَّ رُقُودا  
يضرِبُنَ بالأذنانِ مِن فرحِ بنا ... متوسِّداتٍ أذرعاً وحدودا  
وقال الآخر:

لو كُنْتُ أحْمِلُ خمراً يومَ زرتُكم ... لم يُنْكِرِ الكلبُ أنِّي صاحب الدَّارِ  
لكنْ أتيتُ وريحُ المسكِ يفعمني ... والعنبرُ الورْدُ أذكيه على النارِ  
فأنكر الكلب رِيحي حين أبصرني ... وكان يعرف ريحَ الرِّقِّ والقارِ  
وقال أبو الطَّمَحان القيني في الإلف، وهو يمدح مالك بن حمار الشَّمْخي:

سأمدحُ مالكا في كلِّ ركب ... لقيتهمُ وأتركُ كلَّ رذلٍ  
فما أنا والبكارةُ من مخاضٍ ... عظامِ جِلَّةٍ سُدُسٍ وبُزْلِ  
وقد عرَفْتُ كلابَهُمُ ثيابي ... كأنِّي منهمُ ونسيْتُ أهلي  
نمَتْ بك من بني شَمَخٍ زنادٌ ... لها ما شئتَ من فرعٍ وأصلٍ  
وقال الشاعر في أنس الكلاب وإلفها، يذكر رجلاً:

عنيف بتسواقِ العِشارِ ورَعِيها ... ولكنْ بتلقامِ الثَّرِيدِ رفيقُ

---

(١) انظر: الحيوان للجاحظ (١١٤/١)

سَنِيدُ يَظُلُّ الْكَلْبَ يَمَضُغُ ثَوْبَهُ ... له في ديارِ الغانياتِ طَرِيقُ

وقال الآخر:

بات الحويرثُ والكلابُ تَشَمُّهُ ... وسَرتْ بأبيضِ كالهلالِ على الطَّوَى

وقال ذو الرمة:

رَأَتْنِي كَلَابُ الْحَيِّ حَتَّى أَلْفَنِي ... وَمُدَّتْ نُسُوجَ الْعَنْكَبُوتِ عَلَى رَحْلِي

وقال حسان بن ثابت:

أَوْلَادَ جَفْنَةٍ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ ... قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ

بَيْضُ الْوَجْهِ نَقِيَّةٌ حُجْزَاتُهُمْ ... شَمُّ الْأَنْوْفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ

يُغْشَوْنَ حَتَّى مَا تَهْزُ كَلَابُهُمْ ... لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمَقْبِلِ

وفي هذا المعنى قال الشاعر:

وَبَوَّاتِ بَيْتِكَ فِي مَعْلَمٍ ... رَحِيبِ الْمَبَاءَةِ وَالْمَسْرِحِ

كَفَيْتِ الْعُقَاةَ طِلَابَ الْقَرَى ... وَنَبَحَ الْكَلَابَ لِمُسْتَبَحِ

تَرَى دَعْسَ آثَارِ تِلْكَ الْمَطِيِّ ... أَخَادِيدَ كَاللَّقَمِ الْأَفِيحِ

وَلَوْ كُنْتَ فِي نَفَقِ زَائِغٍ ... لَكُنْتَ عَلَى الشَّرْكِ الْأَوْضَحِ

وفي مثل ذلك، وليس في ذكر إلف الكلاب، ولكنّه مما ينبغي أن يكون  
مجموعاً إلى هذه الأشعار، وبك إلى ذلك حاجة شديدة، قال أميّة بن أبي  
الصّلت:

لا الغياباتُ مُتَوَاكٍ وَلَكِنْ ... فِي ذُرَى مُشْرِفِ الْقُصُورِ ذَرَاكَا

- ١٠٤ -

وقال البزّار الحلّي، في المعنى الأول:

ألف الناس فما ينبحهم... من أسيف يبتغي الخير وحرّ